الكتاب الجامع للفضائل

(٦٥)

فضل سلامة الصدر وإصلاح ذات البين

فضل السلام - فضل المصافحة

فضل طلاقة الوجه

الشيخ/ندا أبو أحمد

فضل سلامة الصدر وإصلاح ذات البين

فضل السلام- فضل المصافحة – فضل طلاقة الوجه

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

أولًا: فضل إصلاح ذات البين:

١- إصلاح ذاتِ البين دليل على إيمان العبد.

٢- إصلاح ذاتِ البين من أفضل القُربات والأعمال عند الله تعالى.

٣- إصلاح ذاتِ البين عمل يُحبه الله ورسوله ويرضاه الله تعالى ورسوله.

٤- إصلاح ذات البين من أفضل الصدقات التي يتصدَّق بها العبد.

٥- إصلاح ذات البين أجرها عظيم عند رب العالمين.

٦- إصلاح ذات البين تجارة مع الله رابحة.

٧- إصلاح ذاتِ البين سبب للفوز برحمة الله تعالى.

٨- ولبيان فضل وأهمية وضرورة إصلاح ذات البين: أباح الشرع الكذب للإصلاح بين التخاصمين.

٩- ولبيان فضل وأهمية وضرورة إصلاح ذات البين؛ حذرت الشريعة من فساد ذاتِ البين، والتهاجر، والتدابر لما في ذلك من المفاسد العظيمة.

الترهيب من فساد ذات البين وعقوبة ذلك:

١- فساد ذات البين تحقق مراد الشيطان.

٢- فساد ذات البين سبب لاستحقاق الإثم.

٣- فساد ذات البين سبب لعدم رفع الصلاة فوق الرأس شبرًا.

٤- فساد ذاتِ البين تعدل إثم وعقوبة سفك الدماء.

٥- فساد ذات البين سبب للحرمان من المغفرة.

٦- فساد ذات البين سبب للطرد من رحمة الله.

٧- فساد ذات البين سبب لدخول النار.

ولفضل وأهمية وضرورة إصلاح ذات البين حثنا رب العالمين في كتابه الكَرِيمِ على هذا الأمر.

وكذلك حث النبي-صلى الله عليه وسلم- على إصلاح ذاتِ البَين.

أمثلة ونماذج للإصلاح بين النَّاس.

ثانياً: فضل سلامة الصدر وأصحاب القلوب السليمة:

١- أصحاب القلوب السليمة من أفضل الناس.

٢- أصحاب القلوب السليمة ليس في قلوبهم شح أو حسد.

٣- أصحاب القلوب السليمة مدحهم الله عز وجل وكفى بها منقبة.

٤- أصحاب القلوب السليمة هم أهل الله وخاصته.

٥- سلامة الصدر سبب لرفعة الأمة.

٦- أصحاب القلوب السليمة يتقبل الله أعمالهم ويغفر لهم ذنوبهم.

٧- أصحاب القلوب السليمة يغبِطُهُمُ النَّبيُّونَ والشُّهداءُ علَى قُربِهِم منَ اللَّهِ.

٨- أصحاب القلوب السليمة تكتب لهم النجاة يوم العرض على الله عز وجل.

٩- سلامة الصدر سبب لدخول الجنة.

١٠- سلامة الصدر من صفات أهل الجنة.

ثالثاً: فضل إلقاء السلام وإفشائه:

١- بذل السلام من خير أعمال الإسلام.

٢- بذل السلام من حَقِيقَةِ الْإيمَان، وسبب للمحبة والألفة بين المسلمين.

٣- إفشاء السلام سبب لإغاظة الكفار، والمشركين، وأعداء الدين.

٤- بذل السلام سبب لحفظ الله للعبد ورعايته له.

٥- إفشاء السلام سبب لعلو شأن المسلمين.

٦- إفشاء السلام من أسباب السلامة.

٧- بذل السلام سبيل للفوز برحمة الله.

٨- بذل السلام سبب للبركة.

٩- بذل السلام من موجباتِ المغفرةِ.

١٠- بذل السلام سبب لتحصيل الحسنات.

١١- بذل السلام سبب لرفع الدرجات.

١٢- بذل السلام سبب لدخول الجنة.

١٣- بذل السلام سبب لسكنى الغرف في الجنة.

رابعاً: فضل طلاقة الوجه عند اللقاء:

خامساً: فضل المصافحة:

أولًا: فضل إصلاح ذات البين:

مقدمة:

خلق الله ﷻ آدم ونفخ فيه من روحهِ، ثم أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، فسجدوا جميعًا إلا إبليس لم يكن من الساجدين **كما قال ربُّ العالمين في كتابهِ الكريم:** ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر:٢٨-٣١) **ثم سأله ربُّ العالمين عن عدم سجوده لآدم:** ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر:٣٢) **فكانت الإجابة:** ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر:٣٣) **فكان الجزاء على الفور:** ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الحجر:٣٤،٣٥) **وهنا يطلب الشيطان طلبًا غريبًا:** ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الحجر:٣٦) **فاستُجيب له** ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (الحجر:٣٧،٣٨) ولكن يا تُرى لماذا طلب هذا الملعون أن يمكث حيًّا إلى يوم القيامة؟ **هو نفسه يُفصح عن هذا، فقال:** ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص:٨٢،٨٣) وقال إبليس لرب العالمين في آية أخرى: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قال إنك من المنظرين (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف:١٤-١٧)

وأسكن اللهُ آدم وزوجته الجنة، وقال له: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف:١٩)

وراح إبليس يوسوس لآدم ولزوجته، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف:٢٠)

ونسي آدم وزوجته أنه عدوهما واندفعا يستجيبان للإغواء: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الأعراف:٢٢)

فتمت الخدعة وآتت ثمرتها، والتي نتيجتها ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (الأعراف:٢٤) وهبطوا إلى الأرض ليبدأ الصراع بين إبليس وأعوانهِ وآدم وذريته.

وأساليب الشيطان وطُرُقِهِ في إغواء الإنسان والنيل منه كثيرة ومُتنوِعةَ. فيُحاول الشيطانُ جاهِدًا إلى أن يأخذ الإنسان إلى الكفر، فإن فشل فيأخذه إلى الشِرك، فإن فشل فيأخذه إلى البدع، فإن فشل يأخُذهُ إلى الكبائر، فإن فشل فيأخذه إلى الصغائر، فإن فشل يأخذه إلى ترك الأولى، فإن فشل جعله يفرط في المباحات فيفوته كثير من الواجبات، فإن فشل جعل يبذر العداوة والبغضاء بين الناس، وقد بيّن لنا ربُّ العالمين هذا في كتابهِ الكريم **فقال تعالى:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (المائدة:٩١)

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾

(الإسراء:٥٣)

وأخرج الإمام مُسلم من حديث جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" إنَّ الشَّيطانَ قد أيِسَ أن يعبُدَه المصلُّونَ في جزيرةِ العربِ ولَكنْ في التَّحريشِ بينَهم ".**

وقد نجح الشيطانُ مع كثير من الناس في إفساد ذات بينهم؛ لأنه يعلم يقينًا أنَّهُ لا يمكن لمجتمع أن يسود ويقود، وأفراده في شتات ونزاع؛ لذا كان إصلاح ذات البين من الأهمية بمكان.

وكذلك يسعى الشيطان للتفريق بين المرء وزوجهِ وهذا أقصى ما يتمنَّاهُ الشيطان؛ لأن إفساد ما بينهما إفساد لبيت الزوجية، الذي هو لبِنة من لبِنات المُجتمع، وبصلاح هذه اللَّبِنات يُصلح المُجتمع، وبفساد هذه اللَّبِنات يُفسد المُجتمع، ويُعُم الخراب وينتشر الفساد.

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إنَّ إبليسَ يضَعُ عرشَه على الماءِ ثمَّ يبعثُ سراياهُ فأدناهم منهُ منزلةً أعظمُهم فتنةً يجيءُ أحدُهم فيقولُ فعلتُ كذا وَكذا فيقولُ ما صنعتَ شيئًا قال ثمَّ يجيءُ أحدُهم فيقولُ ما تركتُه حتَّى فرَّقتُ بينَه وبينَ امرأتِه قال فيدنيهِ منهُ ويقولُ نِعمَ أنتَ ".** ***قال الأعمش –رحمه الله أحد رواة الحديث–:*** " أراه قال: فيلتزمه ".

فإفساد ذات البين مرض خطير إذا دبَّ في المجتمع أوشك أن يقضي عليه؛ فعلينا أن نفوِّت على الشيطان غايتهِ، ونسعى لنقض قصدهِ.

وإصلاح ذات البين يُذهب وَغرْ الصدور، ويجمع الشمل، ويضم الجماعة ويزيل الفرقة، والإصلاح بين الناس مبعث الأمن الاستقرار ومنبع الألفة والمحبة، ومصدر الهدوء والطُمأنينة، والصلح خير تهبُّ به القلوب المُتجانية رياح الأنس ونسمات الندى، تصلح وتسكن به النفوس ويتلاشى به النِّزاع، والصُلح نهج شرعي يُصان به الناس، وتُصلح به المُجتمعات من الخصام والتفكك. وبالصلح تستجلب المودات، وتُعمَّر البيوتات، ويعم الأمن بين الأسر والأفراد، ومن ثمَّ يتفرغ الناس للأعمال الصالحة، ويتفرغون للبناء والإعمار بدلًا من إفناء الشُهور والسنوات في المُنازعات، والخُصومات، وإراقة الدماء، وتبديد الأموال، وإزعاج الأهل والسُلُطات.

أحبتي في الله:

إنَّ من محاسن الشريعة الإسلامية الحرص على تأليف القلوب، وإشاعة المحبة والسلام بين الناس، والأخوة والتعاون، واجتماع الكلمة، وإصلاح ذات البين.

وإصلاح ذات البين لا ينحصر على طائفة معينة فقط، بل هو باب واسع يشمل الإصلاح بين الأرحام، والجيران، والأصحاب، والزوجين، والقبائل، والبلدان، وغير ذلك، وقد دلَّت النصوص في الدعوة إلى الإصلاح في مواضِع كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال:١) فهذه آية عظيمة القدر، عظيمة المقصد، كبيرة المعنى، لو تأملناها علمنا أن الإسلام عظيم في تشريعاته، كما أنها تشريع لمناهج حياة المُسلم؛ يدعونا فيها الله تعالى إلى التقوى، والإصلاح بين الناس بوأد كل أشكال التهاجر والتشاحن والتدابر والبغضاء، وبذلك تجتمع القلوب وتصفو النفوس، وينتشر بذلك التحاب والتواصل والمودة، ويسود الاتصال، وتقوى روابط المحبة بين الأفراد والأسر، ويتماسك المُجتمع.

والإصلاح عنوان الإيمان، ومنبع الأمان، ومصدر الراحة؛ **قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات:١٠) إنَّ غليانَ مراجل القطيعة في المجتمع أدواءٌ فتَّاكةٌ، إذا تمكَّنت من جسد الأمَّة أثْخَنَتْها؛ فهي مصدر كلِّ بلاء، وسبب كلِّ عداء، ومنبع كلِّ شقاء؛ بل هي السلاح البتَّار الذي يشهره الشيطان ضدَّ القلوب فيفرِّقها، والعلاقات فيمزِّقها، إن أُرخي لها الزمام وأطلِق لها الخطام قَضَتْ على حاضر الأمَّة ودمَّرت مستقبلها، وإذا تنافر وُدُّ القلوب كُسِرَت زجاجات التَّواصل، وتمكَّن الشرُّ في النُّفوس، وعاد الناس ذئابًا مسعورةً ووحوشًا كاسرةً ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد:٢٥)

وفي هذا الزمان كم تقطَّعت من صلات، ونكثت من عهود، ونزلت في البيوت من ويلات، وكم أقيمت من قضايا، وفي المشافي من جراحات ورزايا. ناهيك عما في مراكز الشرطة والسجون من البلايا... ولذا حرَّم الإسلام كل أشكال التقاطع والتدابر والتباغض.

قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات:٩،١٠) وهذه الآية تدعونا إلى أن نتقي الله ونُسارع في رأب الصدع وإصلاح الخلل، ولا نتهاون في ذلك أو نتأخر حتى لا يستفحل الشرر، وينفث فيه الشيطان سمومه، وترك هذا الأمر ينتهي بالتقاتل والاعتداء[1].

١- إصلاح ذات البين لأبي الحارث خالد بن جُمعة الخراز، بتصرف.

فضل إصلاح ذاتِ البين

١ - إصلاح ذات البين دليل على إيمان العبد:

قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال:١)

٢ - إصلاح ذاتِ البين من أفضل القُربات والأعمال عند الله تعالى:

فقد أخرج البخاري في التاريخ الكبير عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما عُمِلَ شيءٌ أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخُلُق جائز بين المسلمين[١]". (صحيح الترغيب والترهيب:٢٨١٦)

وصدق محمد بن أيمن الرهاوي حيث قال:

إنَّ المكارم كلّها لو حُصِّلتْ ... ردعتْ بجملتها إلى شَيئَيــنِ

تعظيم أمـر الله جـلَّ جلالـه ... والسَّعي في إصلاح ذات البَينِ

وأخرج أبو داود والترمذي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:" إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ[٢] ". (صحيح الجامع:٢٥٩٥)

- وفي رواية: " أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:" إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ ".

٣ - إصلاح ذاتِ البين عمل يُحبه الله ورسوله ويرضاه الله تعالى ورسوله:

فقد أخرج الطبري عن أبي أيوب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أبا أيوب أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُحِبُّهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَغَاضَبُوا وَتَفَاسَدُوا ".

وفي رواية عن الطبراني من حديث أبي أمامة ﷺ أن النَّبي ﷺ قال لأبي أيوب ﷺ: " ألا أدُلُّك على عملٍ يرضاه اللهُ ورسولُه قال بلى قال تُصلِحُ بينَ النَّاسِ إذا تفاسَدوا وتُقرِّبُ بينَهم إذا تباعَدوا ".

(قال الألباني في صحيح الترغيب: حسن لغيره)

فمن أراد أن يحوز هذا الشرف العظيم، ويفوز برضا ربِّ العالمين، ويحبه النَّبي الأمين ﷺ؛ فعليه بإصلاح ذاتِ البين بين المُسلمين، فهيا أخي الحبيب تحلَّ بخلق الإصلاح، وابذل كل ما تستطيع؛ لتعمل على رأبِ الصَّدْع[٣]، وجمع الشتات، وإصلاح فساد القلوب، وإزالة ما في النفوس.

---

١ - قال الأنباري -رحمه الله- في (صحيح الترغيب: ٢٨١٦) سنده حسن.
٢ - الحالقة: المراد بها الذنب الكبير، والمصيبة الكبيرة التي تستأصل الدين كما يستأصل الموس الشعر.
٣ - رأبَ الصَّدْعَ: أصلح بين المتخاصمين وأزال الخلافَ بينهم.

٤- إصلاح ذات البين من أفضل الصدقات التي يتصدَّق بها العبد:

الإصلاح بين الناس صدقة يتصدق بها العبد على نفسه.

فقد أخرج البُخاري ومُسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الاِثْنَيْنِ[1] صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ، فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ".

قال الأوزاعي-رحمه الله-: ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة من إصلاح ذات البين ".

- **بل الإصلاح بين الناس من أفضل الصدقات:**

أخرج الطبراني والبزار عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ".

قال الإمام المناوي-رحمه الله-: " إصلاح الفساد بين القوم وإزالة الفتنة وإسكان الثائرة، والمستلزم إحياء النفوس غالبًا، وهي من حيث عموم نفعها أفضل من صدقة نفعها قاصر ".

٥- إصلاح ذات البين أجرها عظيم عند رب العالمين:

قال تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:١١٤)

٦- إصلاح ذات البين تجارة مع الله رابحة:

فقد أخرج البزار عن أنس ﷺ أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ لأَبِي أَيُّوبَ ﷺ: " أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى تِجَارَةٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: صِلْ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا، وَقَرِّبْ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا ". (صحيح الترغيب والترهيب:٢٨١٦)

٧- إصلاح ذات البين سبب للفوز برحمة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات: ١٠)

١- يعدل بين الاثنين: أي يصلح بين اثنين، وقيل: يصلح بينهما بالعدل.

٨- ولبيان فضل وأهمية وضرورة إصلاح ذات البين: أباح الشرع الكذب للإصلاح بين المتخاصمين:

يقول الإمام النووي –رحمه الله– كما في كتابه "رياض الصالحين"ص٥٨٦": " اعلم أن الكذب وإن كان أصله مُحرَّمًا، فيجوز في بعض الأحوال بشروط قد أوضحتها في كتاب الأذكار، ومختصر ذلك: إن الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يُحرَّم الكذب فيه، وإن لم يكن تحصيله إلا بالكذب؛ جاز الكذب، ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مُباحًا، كان الكذب مُباحًا وإن كان واجبًا كان الكذب واجبًا. فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله، أو أخذ ماله، وسُئِلَ إنسان عنه؛ وجب الكذب بإخفائه، وكذا لو كان عنده وديعة، وأراد ظالمٌ أخذها؛ وجب الكذب بإخفائها، والأحوط في هذا كله أن يُوَرِّي، ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصودًا صحيحًا ليس هو كاذب بالنسبة إليه، وإن كان كاذبًا في ظاهر اللفظ، وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب، ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب، فليس بحرام في هذا الحال. ***واستدل العلماء بجواز الكذب في هذه الحالة بحديث أم كلثوم –رضي الله عنها– أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول:*** **" ليس الكذَّاب الذي يصلح بين الناس فَيَنْمي خيراً[1]– أو يقول خيرًا "**. (متفق عليه)

– ***زاد مسلم في رواية:*** **" قالت أم كلثوم: ولم أسمعه يُرَخِّصُ في شيء ممَّا يقول الناس إلا في ثلاث"** تعني: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها ". اهـ

– ***وفي رواية عند الإمام أحمد عن أم كلثوم بنت عقبة –رضي الله عنها– قالت:*** **" رَخَّص النبي ﷺ من الكذب في ثلاث: في الحرب، وفي الإصلاح بين الناس، وقول الرجل لامرأته "**.

(السلسلة الصحيحة:٥٤٥)

تنبيه مهم:

كذب الزوج على زوجته أو العكس ليس على إطلاقه.

– ***يقول الإمام النووي–رحمه الله– كما في" شرح مسلم:٥/٤٦٥":*** " وأما كذبه لزوجته، وكذبها له، فالمراد به في إظهار الود والوعد بما لا يلزم.. ونحو ذلك. فأما المخادعة في منع ما عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له أولها؛ فهو حرام بإجماع المسلمين. والله أعلم ". اهـ

– ***ويقول ابن حزم –رحمه الله– كما في "المحلى:١٠/٧٥":*** " ولا بأس بكذب أحد الزوجين للآخر فيما يستجلب به المودة... ثم ذكر الحديث ".

١- ينمي خيرًا: بفتح أوله، أي يبلغ خيرًا على وجه الإصلاح.

- ***ويقول الخطابي-رحمه الله- في" عون المعبود:١٣/٢٦٣":*** " كذب الرجل على زوجته: أن يعدها ويمنيها ويظهر لها من المحبة أكثر مما في نفسه؛ يستديم بذلك صحبتها ويصلح به خلقها ". اهـ

- ***ويقول صاحب" تحفة العروس ص١٨٨:*** " وأرى جواز الكذب هنا بين الزوجين يكون في تظاهر كل منهما بالحب، في حال عدم ميل أحدهما للآخر، ولعل هذا الميل المُتَصَنَّع ينقلب إلى حب حقيقي بعد ذلك، وما عدا ذلك فينبغي أن يسود الصدق بينهما، وإلا زالت الثقة التي تتعذر الحياة الزوجية بدونها ".

٩- ولبيان فضل وأهمية وضرورة إصلاح ذات البين؛ حذرت الشريعة من فساد ذاتِ البين، والتهاجر، والتدابر لما في ذلك من المفاسد العظيمة.

فالشريعة الإسلامية حرمت وحذرت من فساد ذاتِ البين، وهذا إنْ دلَّ فإنما يدلُّ على خطورة هذا الأمر، لأنه سبيل لقطع الأرحام، وزيادة نسبة الطلاق، بل ربما لا يقتصر فساد ذات البين على المُحيط الأسري بل يتعدَّاهُ إلى المحيط الإقليمي أو الدولي، فيكون فيه هلاك البلاد والعباد؛ لذا حرَص الإسلام على إصلاح ذاتِ البين، وحثَّ عليه، ونهى عن إفساد ذاتِ البين، والتهاجر والتدابر؛

ودليل ذلك ما أَخْرَجَه الْإِمَامُ مَالِكٌ وَالْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ من حديث أَبِي أَيُّوبَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

" لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ ".

وفي الصحيحين عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ ".**

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلا تَحَسَّسُوا وَلا تَجَسَّسُوا وَلا تَنَافَسُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ".**

وهذه الأحاديث تدل على تحريم الهجر، والتدابر، وإفساد ذات البين.

يقول ابن عبد البر-رحمه الله-: " وفي هذا الحديث من الفقه: أنه لا يحل التباغض؛ لأن التباغض مفسدة للدين، حالقةٌ له، ولهذا أمر ﷺ بالتوادّ والتَّحاب حتى قال: "تهادوا تحابوا..."

وكذا لا يحل التدابر؛ لأن من أبغضتُهُ أعرضت عنه، ومن أعرضت عنه وليته دبرك، وكذلك يصنع هو بك، ومن أحببته أقبلت عليه، وواجهته، لتسُرَّ ويسُرَّك.". اهـ

الترهيب من فساد ذات البين وعقوبة ذلك:

ففساد ذات البين فيه من الأضرار الجسيمة، والمفاسد العظيمة، ومنها:

١- فساد ذات البين تحقق مراد الشيطان:

فكل من أفسد ما بينه وبين أخيه؛ فقد حقق مراد الشيطان، ***وقد مرَّ بنا في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن جابر ﷺ عن النَّبي ﷺ قال:*** " إنَّ الشَّيطانَ قد أيِسَ أن يعبُدَه المصلُّونَ في جزيرةِ العربِ ولَكنْ في التَّحريشِ بينَهم ".

فغاية الشيطان أن يوقع العداوة والبغضاء والشحناء بين الناس، فيتقاطعون، ثم يتدابرون، ثم يتباغضون، ثم يتنازعون، وربما يتقاتلون، فمن أفسد ما بينه وبين أخيه؛ فقد حقق مراد الشيطان ووقع في مكائده وشباكه.

٢- فساد ذات البين سبب لاستحقاق الإثم:

أخرج أبو داود عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " لا يكونُ لمسلمٍ أن يهجُرَ مسلمًا فوق ثلاثةِ أيَّامٍ، فإذا لقيته سلَّم عليه ثلاثَ مرَّاتٍ كلَّ ذلك لا يرُدُّ عليه فقد باء بإثمِه ".

٣- فساد ذات البين سبب لعدم رفع الصلاة فوق الرأس شبرًا:

ففي الحديث الذي أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ قال: " ثَلَاثَةٌ لَا تُرْفَعُ صَلَاتُهُمْ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ شِبْرًا: رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَأَخَوَانِ مُتَصَارِمَانِ ".

٤- فساد ذات البين تعدل إثم وعقوبة سفك الدماء:

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ ". (صحيح أبي داود: ٤٩١٥)

قال أحدهم:

أيهجـر مسلم فينـا أخـاه ... سنينـًا لا يمـد لـه يمينـه
أيهجره لأجل حطام دنيـا ... أيهجـره علـى نتف لعينـه
ألا أين السماحة والتآخي ... وأين عـرى أُخوتنـا المتينه
بنينـا بالمحبـة ما بنينـا ... وما باع امرؤ بالهجر دينه
علام نسدّ أبواب التآخي ... ونسكن قـاع أحقاد دفينـه

٥- فساد ذات البين سبب للحرمان من المغفرة:

فقد أخرج ابن حبان والبيهقي في شعب الإيمان والطبراني في المعجم الكبير والأوسط، وابن أبي عاصم في كتاب السنة عن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" يطلع الله تبارك وتعالى إلى خلقه ليلة النصف من شعبان؛ فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك أو مشاحن[1] ".**

(صحيح الترغيب والترهيب:١٠٢٦) (السلسلة الصحيحة:١١٤٤)

ورواه ابن أبي الدنيا بلفظ: **" ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان، فيغفر لأهل الأرض إلا مشرك أو مشاحن".** (قال الألباني في ظلال الجنة: صحيح لغيره)

ولا يفوز بهذه الجائزة العظيمة، والمنحة الربانية الجليلة إلا لمن خلُص توحيده من الشرك، وخلُص صدره من الشحناء والغل والحسد.

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **" تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلاَّ رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ".**

أي أخروا وأمهلوا هذين عن نيل المغفرة حتى يصطلحا.

قال الحافظ ابن عبد البر-رحمه الله-: " يدل هذا الحديث على أن الذنوب إذا كانت بين العباد، فسامح بعضهم بعضًا، سقطت المطالبة بها من قِبَل الله عزَّ وجلَّ ". اهـ

٦- فساد ذات البين سبب للطرد من رحمة الله:

فمن صور إفساد ذات البين: تقطيع الأرحام، ومن وقع في هذا يلعنه الله ويطرده من رحمته.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧)

قال السَّعدي-رحمه الله-: " لم يصلوا ما بينهم وبين ربهم بالإيمان، والعمل الصالح، ولا وصلوا الأرحام ولا أدُّوا الحقوق، بل أفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي والصد عن سبيل الله وابتغائها عوجا ". (تيسير الكريم الرحمن:١٠٦/٤)

وقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ (محمد:٢٢،٢٣)

١- قال الألباني -رحمه الله- كما في السلسلة الصحيحة جـ ٣ تعليقًا على هذا الحديث:" وجملة القول: إن الحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا ريب، والصحة تثبت بأقل منها عددًا، ما دامت سالمة من الضعف الشديد كما هو الشأن في هذا الحديث، فما نقله الشيخ القاسمي -رحمه الله- في إصلاح المساجد ص١٠٧ عن أهل التعديل والتجريح:" أنه ليس في فضل ليلة النصف من شعبان حديث لا يصح، فليس مما ينبغي الاعتماد عليه، ولئن كان أحد منهم أطلق مثل هذا القول، فإنما أوتي من قبل التسرع، وعدم وسع الجهد؛ لتتبع الطرق على هذا النحو الذي بين يديك والله تعالى هو الموفق. اهـ.

- والمشاحن: هو المخاصم لأخيه المسلم أو مهاجر له.

وأخرج الإمام مسلم عن جبير بن مطعم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يدخلُ الجنةَ قاطعٌ ".

قال الإمام النووي عند هذا الحديث: "**هذا الحديث له تأويلان: أحدهما:** حمله على من يستحل القطيعة بلا سبب، ولا شبهة مع علمه بتحريمها، فهذا كافر ويخلد في النار ولا يدخل الجنة أبدًا.

والثاني: معناه ولا يدخلها في أول الأمر مع السابقين، بل يُعاقب بتأخُّرِهِ القدر الذي يريدُهُ الله تعالى.

٧- فساد ذات البين سبب لدخول النار:

ودليل ذلك ما أخرجه أبو داود والنسائي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يحلُّ لِمُسلِمٍ أن يَهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ، فمَن هجرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ فماتَ دخلَ النَّارَ ".

- *وأخرج الطبراني عن فضالة بن عبيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:* " من هجر أخاه فوق ثلاثٍ فهو في النَّارِ إلَّا أن يتداركَه اللهُ برحمتِه ".

- *وأخرج الطبراني في الأوسط والحاكم واللفظ له عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:* " لا يحِلُّ الهجرُ فوقَ ثلاثةِ أيامٍ فإن التقَيا فسلَّم أحدُهما على الآخرِ فردَّ السَّلامَ اشترَكا في الأجرِ وإن أبى الآخرُ أن يردَّ السَّلامَ برِئ هذا من الإثمِ وباء به الآخرُ وقد حسِبْتُ إن ماتا وهما متهاجِرانِ لا يجتَمِعانِ في الجنَّةِ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٧٦٠)

فهيا... هيا من الآن... أخي الحبيب... كبِّر على الشحناء أربع تكبيرات، واصطلِح مع مَن خاصمته، وابدأ أنت بالسلام حتى تكون من خير الأنام.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: " لا يحل لمسلم أن يهجُر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ".

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

(فصلت: ٣٤)

فهيا... هيا .. صِل مَن قطعك، واعف عمَّن ظلمك، وأعط من حرمك، كما وصاك النبي ﷺ.

هيا... هيا ...اعملوا بوصية رب العالمين، حيث قال في كتابه الكريم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

(الأنفال: ١)

أي: أصلحوا حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع. هذا ما يريده منَّا رب العالمين، وأما ما يريده الشيطان اللعين، **فقد أخبرنا عنه رب العالمين فقال:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (المائدة: ٩١)

فمَن تطيع؟!

ولفضل وأهمية إصلاح ذات البين حثنا رب العالمين في كتابه الكَرِيمِ على هذا الأمر:

١- قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ٩، ١٠)

وسبب نُزُول هذه الآية ما رواه البُخاري ومُسلم عن أنس ﷺ قال: " قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِي ﷺ وَرَكِبَ حِمَارًا فَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِي ﷺ فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَشَتَمَا[1] فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالْأَيْدِي وَالنِّعَالِ فَبَلَغَنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا".

قال الحافظ ابن كثير-رحمه الله-: " يقول تعالى آمرًا بالإصلاح بين المُسلمين الباغين بعضهم على بعض، وبهذا استدل البُخاري وغيره على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقول الخوارج ومن تابعهم من المُعتزلة ونحوهم، وهكذا ثبت في صحيح البُخاري عن أبي بكرة ﷺ أن رسول الله ﷺ خطب يومًا ومعه على المنبر الحسن بن علي-رضي الله عنهما-، فجعل ينظر إليه مرة والناس مرة أخرى ويقول:" إِنَّ ابْنِي هَذَا لَسَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ". فكان كما قال ﷺ، أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة ". اهـ

(تفسير ابن كثير: ٣٠٢/٧)

٢- وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١)

قال العلامة السّعدي-رحمه الله-: " في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: أصلحوا ما بينكم من التشاحن، والتقاطع، والتدابر بالتوادِّ والتَّحابِّ والتواصل، فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل - بسبب التقاطع- من التخاصم والتشاجر والتنازع. ويدخل في إصلاح ذات البَيْن: تحسين الخُلُق لهم، والعفو عن المُسيئين منهم فإنه بذلك يولِّ كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابر والأمر الجامع لذلك كله ". **(تيسير الكريم الرحمن: ص ٢٧٧)**

---

١ - فشتما: هكذا في الفتح، ولفظة البخاري: فشتمه.

٣- وقال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:١١٤)

قال الطبري-رحمه الله-عند قوله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ هو الإصلاح بين المُتباينين أو المُتخاصمين بما أباح الله الإصلاح بينهما ليرجعا إلى ما فيه الأُلفة واجتماع الكلمة على ما أذِن الله وأمر به. (تفسير الطبري ٤/٢٧٦)

يقول القرطبي -رحمه الله- في تفسيره:٣/٣٣٤: **وقوله تعالى:** ﴿إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ عام في الدماء والأموال والأعراض وفي كل شيء يقع التداعي والاختلاف فيه بين المُسلمين وقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فهذا في كل كلام يُراد به وجه الله تعالى.

فأما من طلب الرياء والرؤوس فلا ينال الثواب، وكتب عُمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري ﷺ رد الخُصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورِّث بينهم الصَّغائر". اهـ باختصار.

يقول الألوسي-رحمه الله- في تفسيره:"٤/٢١٢" عند قوله تعالى: ﴿إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ ولا يخفى ما فيه، والمراد من الإصلاح بين الناس التأليف بينهم بالمودة إذا تفاسدوا من غير أن يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف. اهـ.

وعن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت قال: كنت جالسًا مع مُحمد بن كعب القُرَظِيِّ، فأتاه رجُلٌ فقال له القوم: أين كنت؟ فقال: أصلحت بين قوم، فقال محمد بن كعب: أصبت. لك مِثل أجر المُجاهدين، ثم قرأ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ **(ذكره ابن القيم-رحمه الله- في كتابه إعلام الموقعين:٢/٦٨٥)**

٤- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٤)

في هذه الآية ينهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يجعلوا الحلف سببًا مانعًا عن فعل الخير، أي لا تجعلوا اليمين حائلة وعُرضة عن فعل الخير، كأن يحلف أحدكم ألا يتصدَّق، أو لا يصل رحمه، أو لا يبرّ أهله، أو لا يصلح بين الناس، بل كَفِّروا عن أيمانكم وافعلوا الخير.

٥- وقال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:١٢٨)

يقول الشيخ مُصطفى العدوي -حفظهُ الله- في كتابهِ فقه الأخلاق ص ١٣٩: " وإن كانت الآية الكريمة: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ نزلت في سبب مخصوص، لكن العِبرة بعموم الألفاظ كما هو معلوم ". اهـ

ومعنى الآية كما جاء في البخاري من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: وقوله تعالى: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} قالت: هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له: أمسكني ولا تُطلقني ثمَّ تزوج غيري فأنت في حِل من النفقة عليَّ والقسمة لي، فذلك قوله تعالى: ﴿...أو إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.

إذًا فالصلح خير كما قال الله تعالى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾؛ خيرٌ من الفتن والمشاكل والقلاقل، خيرٌ من الضَّغائن والعداوات والأحقان، خيرٌ من القطيعة والبغي والتدابر والتلاعن، خيرٌ من الطلاق وخيرٌ من الفراق وخيرٌ من الشقاق.

٦- قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ (سورة النساء:٨٥).

قال القرطبي-رحمه الله-:" من شفع شفاعة حسنة لصلح بين اثنين، استوجب الأجر".

(الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٥ /٢٩٥)

وكذلك حث النبي-صلى الله عليه وسلم- على إصلاح ذاتِ البَين:

كما مر بنا في فضائل إصلاح ذات البين.

وأخرج الإمام أحمد عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَتَبَ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ أَنْ يَعْقِلُوا مَعَاقِلَهُمْ، وَأَنْ يُفْدُوا عَانِيَهُمْ[١] بِالْمَعْرُوفِ، وَإِصْلاحٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ[٢] ".

١ - عانيهم: العاني هو الذليل والأسير.
٢ - فيه الحجاج بن أرطاة وهو مدلس، ولكنه ثقة، وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند: إسنادهِ صحيح.

أمثلة ونماذج للإصلاح بين النَّاس:

الله تعالى يُصلح بين المُؤمنين، وكذا كان يفعل الحبيب النَّبي ﷺ وكان السلف الصالح يُبادرون بالإصلاح بين المُتخاصمين؛ لعلمهم أن هذا من أعظم الطَّاعات وأقرب القُربات.

أولًا: اللّه يُصلح بين عباده المُؤمنين يوم القيامة:

فقد أخرج الحاكم في المُستدرك عَنْ أَنَسِ بن مالكٍ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِي ﷺ جَالِسٌ إِذْ رَأَيْنَاهُ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ ثَنَايَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ:" رَجُلانِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ ﷻ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَبِّ، خُذْ لِي مَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي، قَالَ اللَّهُ ﷻ:" أَعْطِ أَخَاكَ مَظْلَمَتَهُ"، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ. قَالَ: يَا رَبِّ، فَلْيَحْمِلْ عَنِّي مِنْ أَوْزَارِي، فَفَاضَتْ عَيْنُ النَّبِي ﷺ بِالْبُكَاءِ، ثُمَّ قَالَ:" إِنَّ ذَلِكَ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ يَوْمٌ يَحْتَاجُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ. قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِلْمُطَالِبِ: ارْفَعْ رَأْسَكَ فَانْظُرْ إِلَى الْجِنَانِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَرَى مَدَائِنَ مِنْ فِضَّةٍ وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ لأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا؟ لأَيِّ صِدِّيقٍ هَذَا؟ لأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا؟ قَالَ اللَّهُ ﷻ:" هَذَا لِمَنْ أَعْطَانِيَ الثَّمَنَ ". قَالَ: يَا رَبِّ فَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ، قَالَ: بِمَاذَا يَا رَبِّ؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ قَالَ: يَا رَبِّ، قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ:" خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ "، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ:" فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[1] "

ثانيًا: سعي النَّبي الأمين في الإصلاح بين المُتخاصمين:

فالنَّبي ﷺ كان يُسارع ويُبادر في الإصلاح بين الناس بحسم دواعي الفرقة، والعمل على لَم الشَّمل، وقطع الطريق على الشيطان الرجيم والذي يُحرِّش بين المُسلمين.

- أخرج البُخاري عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ أُنَاسًا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبِي ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ وَلَمْ يَأْتِ النَّبِي ﷺ، فَجَاءَ بِلَالٌ فَأَذَّنَ بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ وَلَمْ يَأْتِ النَّبِي ﷺ، فَجَاءَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: إِنَّ النَّبِي ﷺ حُبِسَ وَقَدْ حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَؤُمَّ النَّاسَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِي ﷺ يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ.....".

وأخرج البخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ ".

---

١ ـ ضعف هذا الحديث البُخاري وابن حبان.

- *وأخرج البُخاري عن كَعْبِ بن مالك* ﷺ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ ﷺ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ[1] حُجْرَتِهِ وَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ فَقَالَ:" يَا كَعْبُ! فَقَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ أَنْ ضَعْ الشَّطْرَ مِنْ دَيْنِكَ، قَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" قُمْ فَاقْضِهِ ".

وأصلح النبي ﷺ بين عليّ وفاطمة-رضي اله عنهما-

ففي صحيح البخاري أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ:" أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟" قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟ فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ:" قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ".

ثالثاً: سعي السلَّف الكِرام للصلح بين المُتخاصمين:

- الصُّلح بين عائشة وابن الزُبير – رضي الله عنهم –.

"فقد أخرج البُخاري عن عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الطُّفَيْلِ وَهُوَ ابْنُ أَخِي لِأُمِّهَا أَنَّ عَائِشَةَ حُدِّثَتْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لَأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا فَقَالَتْ أَهُوَ قَالَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَتْ عَائِشَةُ: هُوَ لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ لَا أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا. فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِينَ طَالَتِ الْهِجْرَةُ فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ لَا أُشَفِّعُ فِيهِ أَبَدًا وَلَا أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي. فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ كَلَّمَ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ وَهُمَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ وَقَالَ لَهُمَا: أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ فَإِنَّهَا لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي، فَأَقْبَلَ بِهِ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ مُشْتَمِلَيْنِ بِأَرْدِيَتِهِمَا حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَا: السَّلَامُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَنَدْخُلُ قَالَتْ: عَائِشَةُ ادْخُلُوا قَالُوا: كُلُّنَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ ادْخُلُوا كُلُّكُمْ وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحِجَابَ فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي وَطَفِقَ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يُنَاشِدَانِهَا إِلَّا مَا كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ وَيَقُولَانِ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنَ الْهِجْرَةِ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا نَذْرَهَا وَتَبْكِي وَتَقُولُ: إِنِّي نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ فَلَمْ يَزَالَا بِهَا حَتَّى كَلَّمَتِ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَبْكِي حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا.

١ـ سجفَ: أي ستر.

- **الصُّلح بين الحسن بن علي، ومُعاوية بن أبي سُفيان – رضي الله عنهم –.**

فقد أخرج البُخاري عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: **اسْتَقْبَلَ وَاللَّهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الْجِبَالِ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لَا تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا. فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ – وَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ – أَيْ عَمْرُو، إِنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ؟ مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ؟ مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ؟ فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ – عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ – فَقَالَ: اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَاعْرِضَا عَلَيْهِ وَقُولَا لَهُ وَاطْلُبَا إِلَيْهِ، فَأَتَيَاهُ فَدَخَلَا عَلَيْهِ، فَتَكَلَّمَا وَقَالَا لَهُ فَطَلَبَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا. قَالَا: فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ. قَالَ: فَمَنْ لِي بِهَذَا؟ قَالَا: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلَّا قَالَا: نَحْنُ لَكَ بِهِ فَصَالَحَهُ فَقَالَ الْحَسَنُ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ:" إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ".**

فانظر أخي الحبيب كيف اقترن في الحديث السابق وصف السيادة مع الإصلاح بين المُسلمين!

اللهمَّ نسألك أن يصلح ذات بيننا، وأن تهدينا سبل السلام، وأن تخرجنا من الظلمات إلى النور.

اللهمَّ اجمعْ علَى الخيرِ قلوبَنا، وأصْلِحْ ذاتَ بَيْنِنا، واغفِرْ لنا وتُبْ علينا، إنَّكَ أنتَ التوَّابُ الرحيمُ.

اللهمَّ اغفرْ للمسلمينَ والمسلماتِ، والمؤمنينَ والمؤمناتِ، الأحياءِ مِنْهم والأمواتِ.

اللهمَّ ارزقْنا خَشْيَتَكَ في الغَيْبِ والشَّهادَةِ، وكلمةَ الحقِّ في الرِّضا والغضَبِ، والقَصْدَ في الغِنَى والفقْرِ، واجعلْنا مِنَ المعظِّمِينَ لِحُرُماتِكَ، الحافظينَ لحدُودِكَ.

اللهمَّ أصْلِحْ لنا دِينَنا الذي هوَ عِصْمَةُ أمْرِنا، وأصْلِحْ لنا دُنْيانا التَّي فيها مَعاشُنا، وأصلِحْ لنا آخرَتَنا التي فيها مَعادُنا، واجعلِ الحياةَ زِيادَةً لنا في كُلِّ خيْرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لنا مَنْ كُلِّ شَرٍّ.

ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النَّارِ.

ثانياً: فضل سلامة الصدر:

وسلامة الصدر المقصود بها: سلامة القلب، والقلب السليم هو الذي سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سوى الله، وسلم من تحكيم غير رسوله ﷺ، فخلصت عبوديته لله تعالى إرادة، ومحبة، وتوكلًا، وإنابة، وإخباتًا، وخشية، ورجاء، وخلص عمله لله تعالى؛ فإذا أحب؛ أحب في الله، وإذا أبغض؛ أبغض في الله، وإذا أعطى؛ أعطى لله، وإذا منع؛ منع لله

قال ابن القيم -رحمه الله-: " القلب السليم هو الذي سلم من الشرك، والغل، والحقد، والحسد، والشح، والكبر، وحب الدنيا والرئاسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله. ولا تتم له سلامته مطلقا حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص. وهذه الخمسة حجب عن الله تعالى ". **(الجواب الكافي لابن القيم ص١٥١)**

وقَالَ ابنُ القيم -رحمه الله- أيضًا: *"* الْقلبُ السَّلِيمُ الَّذِي ينجو من عَذَاب الله هُوَ الْقلبُ الَّذِي قد سَلِمَ لرَبه وَسلم لأمره وَلم تبْق فِيهِ مُنَازعَة لأمره وَلَا مُعَارضَة لخبره فَهُوَ سليم مِمَّا سوى الله وَأمره لَا يُرِيد إلا الله وَلَا يفعل إِلَّا مَا أمره الله فَالله وَحده غَايَته وأمره وشرعه وسيلته وطريقته لَا تعترضه شُبْهَة تحول بَينه وَبَين تَصْدِيق خَبره لَكِن لَا تمر عَلَيْهِ إِلَّا وَهِي مجتازة تعلم أنه لَا قَرَار لَهَا فِيهِ وَلَا شَهْوَة تحول بَينه وَبَين مُتَابعَة رِضَاهُ وَمَتى كَانَ الْقلب كَذَلِك فَهُوَ سليم من الشّرك، وسليم من الْبدع، وسليم من الغي، وسليم من الْبَاطِل وكل الأقوال الَّتِي قيلت فِي تَفْسِيره فَذَلِك يتضمنها وَحَقِيقَته أنه الْقلب الَّذِي قد سلم لعبودية ربه حَيَاء وخوفا وَطَمَعًا ورجاء ففني بحبه عَن حب مَا سواهُ وبخوفه عَن خوف مَا سواهُ وبرجائه عَن رَجَاء مَا سواهُ وَسلم لأمره وَلِرَسُولِهِ تَصْدِيقًا وَطَاعَة كَمَا تقدم واستسلم لقضائه وَقدره فَلم يتهمه وَلم ينازعه وَلم يتسخط لأقداره فَأَسْلَمَ لرَبه انقيادًا وخضوعًا وذُلًا وعبوديةً وَسَلِمَ جَمِيع أحواله وأقواله وأعماله وأذواقه ومواجيده ظَاهرًا وَبَاطنًا مِن مشكاة رَسُوله وَعرض مَا جَاءَ من سواهَا عَلَيْهَا فَمَا وافقها قبله وَمَا خالفها رده وَمَا لم يتَبَيَّن لَهُ فِيهِ مُوَافقَة وَلَا مُخَالفَة وقف أمره وأرجأه إلى أن يتَبَيَّن لَهُ وَسَالم أولياءه وَحزبه المفلحين الذابين عَن دينه وَسنة نبيه القائمين بهَا وعادى أعداءه الْمُخَالفين لكتابه وَسنة نبيه الخارجين عَنْهُمَا الداعين إلى خلافهما ". **(مفتاح دار السعادة لابن القيم: ص ٥٤)**

وقَالَ ابنُ القيم-رحمه الله-أيضًا: " القلب السليم قدِ استنار بنور الإيمان، وانقشعتْ عنه حجب الشهوات، وأقلعتْ عنه تلك الظلمات، فلنوره في صدرِه إشراق؛ ولذلك الإشراق إيقاد لو دنَا منه الوسواس احترَق به، فهو كالسَّماء التي حُرِستْ بالنجوم، فلو دنا منها الشيطانُ يتخطَّاها رُجِم فاحترق، وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء ". **(الكلم الطيب ص ٢٤)**.

لماذا نتحدث عن سلامة القلب وأهميته وفضله؟

بداية لابد أن نعلم أن القلب هُوَ مُضغَةٌ صغيرةٌ.. مَن زَرَعَهَا بالإيمان، وسقاها باليقين؛ أنبتَتْ أطايِبَ الأقوال والأفعالِ، ومَن زَرَعَهَا بالكُفرِ والنِّفَاقِ، وسقاها بالفجورِ والعِصْيَان؛ أنبَتَتْ سُوءَ الأقوال والأفعالِ، والقلب مَلِكُ الجوارحِ والأعضاء؛ فإذا صَلَحَ القلبُ صَلحت الجوارحُ والأعضاءُ، وإذا فَسَدَ القلبُ؛ فَسَدَت الجوارحُ والأعضاء، كما أخبر بهذا الحبيب النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ** ".

قال النووي-رحمه الله-: " في هذا الحديث تأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد ".

(شرح النووي على مسلم: ٦/٣٣)

وقال ابن حجر-رحمه الله-: " وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير، تصلح الرعية، وبفساده تفسد. وفي هذا الحديث تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه ". **(فتح الباري:١/١٥٦)**

- **فمَنْ عرَفَ مَكانَةَ القلبِ وعَظيمَ أثَرِه؛ اعتنى بِهِ أشدَّ العناية:**

فقد أخرج الترمذي أنس بن مالك ﷺ: كان رسولُ اللهِ ﷺ يُكثرُ أن يقولَ يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّتْ قلبي على دينِك"، فقلت: يا نبيَّ اللهِ! آمنَّا بك وبما جئتَ به فهل تخافُ علينا؟ قال:" نعم، إن القلوبَ بينَ إصبعينِ من أصابعِ اللهِ يُقلِّبُها كيفَ يشاءُ ".

- *وفي رواية عن أمِّ سلمةَ أنها سُئلت:* يا أمَّ المؤمنينَ! ما كانَ أَكْثرُ دعاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذا كانَ عندَكِ؟ قالَت: كانَ أَكْثرُ دعائِهِ: يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ "، قالَت: فقُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! ما أكثرُ دعاءكَ يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ؟ قالَ: يا أمَّ سلمةَ إنَّهُ لَيسَ آدميٌّ إلَّا وقلبُهُ بينَ أصبُعَيْنِ من أصابعِ اللَّهِ، فمَن شاءَ أقامَ، ومن شاءَ أزاغَ ". فتلا معاذٌ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.

(صحيح الترمذي: ٣٥٢٢)

- **والقلبُ هُوَ مَحلَّ نَظَرِ الربِّ تعالى:**

فقد أخرج عن أبي هريرةَ ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **إنَّ اللهَ تعالى لَا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ، ولكنْ إنَّما ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم** ". **(صحيح الجامع: ١٨٦٢)**

ولأهمية سلامة القلب؛ تجد أن رب العالمين يطلع على قلوب العباد في كل أسبوع مرتين، فيغفر لكل من لم يكن في قلبه شحناء لأحد، وكل من كان يحمل شحناء لأحد من المسلمين فإنه سيُحرم هذه المغفرة.

فقد أخرج الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " **تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا** ".

فسلامة القلب خلقٌ يجلب لصاحبه راحة البال، والطمأنينة والسعادة، ويسلم من أمراض القلوب، والبعد عن الهموم والغموم، وترفع درجته عند الله، ويحبه الخلق، ويسعد به المجتمع، ويكون صاحبه من أفضل الناس عند الله.

فضل سلامة الصدر وأصحاب القلوب السليمة:

أولًا: فضل سلامة الصدر من القُرآنِ الكريمِ:

١- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠).

قال ابنُ رَجَبٍ-رحمه الله-:" أفضَلُ الأعمالِ سَلامةُ الصَّدرِ من أنواعِ الشَّحناءِ كُلِّها، وأفضَلُها السَّلامةُ من شَحناءِ أهلِ الأهواءِ والبِدَعِ، التي تقتضي الطَّعنَ على سَلَفِ الأمَّةِ، وبُغْضَهم والحِقدَ عليهم، واعتقادَ تكفيرِهم أو تبديعِهم وتضليلِهم، ثمَّ يلي ذلك سلامةُ القَلبِ من الشَّحناءِ لعمومِ المُسلِمين، وإرادةُ الخيرِ لهم، ونصيحتُهم، وأن يحِبَّ لهم ما يحِبُّ لنفسِه، وقد وصَف اللهُ تعالى المُؤمِنين عمومًا بأنَّهم يقولونَ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. (لطائف المعارف ص: ١٣٩).

٢- وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ٤٣).

ففي هذه الآيةِ الكريمةِ يُبَيِّنُ اللهُ تبارك وتعالى أنَّ سلامةَ الصَّدرِ، ونقاءَ القَلبِ من أمراضِه -والتي منها الغِلُّ- صِفةٌ من صفاتِ أهلِ الجنَّةِ، ومِيزةٌ من مِيزاتِهم، ونعيمٌ يتنعَّمون به يومَ القيامةِ. وقال تبارك وتعالى في موضعٍ آخرَ من كتابِه الكريمِ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (الحِجْر: ٤٧)

قال ابنُ عطيَّةَ-رحمه الله-:" هذا إخبارٌ من اللهِ عزَّ وجَلَّ أنَّه يُنَقِّي قُلوبَ ساكِني الجنَّةِ من الغِلِّ والحِقدِ، وذلك أنَّ صاحِبَ الغِلِّ متعَذِّبٌ به، ولا عذابَ في الجنَّةِ ". (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٢/٤٠١).

٣- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الشَّعراء: ٨٨، ٨٩).

قال ابنُ رَجَبٍ-رحمه الله-:" القَلبُ السَّليمُ هو الذي ليس فيه شيءٌ من محبَّةِ ما يكرَهُه اللهُ، فدَخَل في ذلك سلامتُه من الشِّركِ الجَليِّ والخَفيِّ، ومن الأهواءِ والبِدَعِ، ومن الفُسوقِ والمعاصي؛ كبائِرِها وصغائِرِها، الظَّاهِرةِ والباطِنةِ، كالرِّياءِ والعُجبِ، والغِلِّ والغِشِّ، والحِقدِ والحَسَدِ، وغيرِ ذلك ".

(مجموع رسائل ابن رجب:١/٣٥٤).

ثانياً: فضل سلامة الصدر من السُّنَّةِ النَّبَوِيَّة:

١ - أصحاب القلوب السليمة من أفضل الناس:

أخرج ابنُ ماجه والبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو-رَضِيَ اللهُ عنهما- قال:

قيل: يا رَسولَ اللهِ! أيُّ النَّاسِ أفضَلُ؟ قال:" كُلُّ مخمومِ القَلبِ[1]، صَدوقِ اللِّسانِ، قالوا: صَدوقُ اللِّسانِ نَعرِفُه، فما مخمومُ القَلبِ؟ قال: هو التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لا إثمَ فيه ولا بَغْيَ، ولا غِلَّ ولا حَسَدَ ".

(صحيح سنن ابن ماجه:٤٢١٦) (السلسلة الصحيحة: ٩٤٨)

وفي رواية عند الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" خيرُ الناسِ ذُو القلبِ المخمُومِ واللسانِ الصَّادِقِ، قِيلَ: ما القلبُ المخمُومِ؟ قال: هو التَّقِيُّ النَّقِيُّ الذي لا إِثْمَ فيه ولا بَغْيَ ولا حَسَدَ. قِيلَ: فَمَنْ على أثَرِهِ؟ قال: الَّذي يَشْنَأُ الدُّنيا، ويُحِبُّ الآخِرةَ. قِيلَ: فمَنْ على أثَرِهِ؟ قال: مُؤمِنٌ في خُلُقٍ حَسَنٍ ". (صحيح الجامع: ٣٢٩١)

وفي الحديثِ: الحَثُّ على سَلامةِ الصُّدورِ والقلوبِ مِن الصِّفاتِ الخبيثةِ؛ كالغِلِّ، والحِقدِ، والحسَدِ، وغيرِ ذلك.

٢ - أصحاب القلوب السليمة ليس في قلوبهم شح أو حسد:

فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يجتمِعانِ في النَّارِ اجتِماعًا يضرُّ أحدَهما الآخرُ، مُسلِمٌ قتل كافِرًا ثمَّ سدَّدَ المسلِمُ وقارَبَ، ولا يجتَمِعانِ في جوفِ عبدٍ، غُبارٌ في سبيلِ اللهِ ودُخانُ جهنَّمَ، ولا يجتَمِعانِ في قَلبِ عبدٍ؛ الإيمانُ والشُّحُّ ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٢٧١) (صحيح الجامع:٧٦٢٠)

وأخرج النسائي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يجتمعُ غبارٌ في سبيلِ اللَّهِ ودُخانُ جَهَنَّمَ في جوفِ عبدٍ أبدًا، ولا يجتَمعُ الشُّحُّ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبدًا ".

(صحيح النسائي: ٣١١٠) (صحيح الجامع:٧٦١٦)

٣ - أصحاب القلوب السليمة مدحهم الله عز وجل وكفى بها منقبة:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر:٩، ١٠)

---

١ - رجُلٌ مخمومُ القَلبِ: إذا كان نَقيَّ القَلبِ من الغِلِّ والحَسَدِ. (الاستذكار لابن عبد البر:٧/ ٤٩).. فقَولُه:" مخمومُ القلبِ": أي: سليمُ القلبِ؛ لقَولِه تعالى: إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (الشعراء: ٨٩) ، من خَمَمْتُ البَيتَ: إذا كنَسْتَه، فالمعنى: أن يكونَ قلبُه مكنوسًا من غُبارِ الأغيارِ، ومُنَظَّفًا من أخلاقِ الأقذارِ.
(مرقاة المفاتيح لملا علي القاري:٨/٣٢٦٧).

٤- أصحاب القلوب السليمة من أحب الناس إلى الله:

فقد أخرج الطبراني في الكبير عن أبي عنبة الخولاني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ للهِ آنيةً من أهلِ الأرضِ، وآنيةُ ربِّكم قلوبُ عبادِه الصالحين، وأحبُّها إليه ألينُها وأرقُّها ". (السلسلة الصحيحة: ١٦٩١)

٥- أصحاب القلوب السليمة هم أهل الله وخاصته:

أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي الزُّهْدِ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ الْأَوْلِيَاءِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ، مَنْ أَهْلُكَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُكَ، الَّذِينَ تُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّ عَرْشِكَ؟ قَالَ: هُمُ الْبَرِيئَةُ أَيْدِيهِمْ، الطَّاهِرَةُ قُلُوبُهُمْ، الَّذِينَ يَتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الَّذِينَ إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرُوا بِي، وَإِذَا ذُكِرُوا ذُكِرْتُ بِذِكْرِهِمْ، الَّذِينَ يُسْبِغُونَ الْوُضُوءَ فِي الْمَكَارِهِ، وَيُنِيبُونَ إِلَى ذِكْرِي كَمَا تُنِيبُ النُّسُورُ إِلَى وُكُورِهَا، وَيَكْلَفُونَ بِحُبِّي كَمَا يَكْلَفُ الصَّبِيُّ بِحُبِّ النَّاسِ، وَيَغْضَبُونَ لِمَحَارِمِي إِذَا اسْتُحِلَّتْ كَمَا يَغْضَبُ النَّمِرُ إِذَا حُرِّ.

(ذكر هذا الأثر جلال الدين السيوطي في تفسيره الدر المنثور عند قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ)

٦- سلامة الصدر سبب لرفعة الأمة:

فعلى المستوى العام لو سلمت القلوب لصلح حال الأمة **وكنا كما قال النبي** ﷺ:" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمى". (رواه مسلم)

وقال ﷺ **أيضًا:**" لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا...". (رواه البخاري)

فإذا سلمت صدور أبناء المجتمع صار مجتمعًا متماسكًا متراصًّا متكاتفًا ترفرف عليه رايات المحبة والإخاء، وتسود فيه روح المودة والألفة والعطف، وتنتشر صور التعاون والتكافل بين أبنائه.

ولك أن تتخيل أخي الحبيب لو دب النزاع والشقاق والبغضاء والشحناء بين أبناء المسلمين، فالنتيجة حتمية معروفة وهي: وهن الأمة وضعفها، وهنا تتكالب الأعداء عليها، **قال تعالى:** ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا﴾ (الأنفال:٤٦) فأعداء الإسلام لن ينالوا من هذه الأمة طالما أبناؤها متحابين متماسكين سليمي الصدور غير متنازعين، والعكس بالعكس.

٧- أصحاب القلوب السليمة يتقبل الله أعمالهم ويغفر لهم ذنوبهم:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، ويَوْمَ الخَمِيسِ، فيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا، إلَّا رَجُلًا كانَتْ بيْنَهُ وبيْنَ أخِيهِ شَحْنَاءُ، فيُقالُ: أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا، أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا، أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا ".

وفي رواية لمسلم أيضًا:" تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِى كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ فَيَغْفِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ امْرًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ".

٨- أصحاب القلوب السليمة يغبطُهُمُ النَّبيُّون والشُّهداء على قُربِهِم من اللّه:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يأيُّها النَّاسُ، اسمَعوا واعقِلوا، واعلَموا أنَّ للَّهِ عبادًا لَيسوا بأنبياءَ ولا شُهَداءَ، يغبِطُهُمُ النَّبيُّونَ والشُّهداءُ علَى مَنازلِهِم، وقُربِهِم منَ اللَّهِ. فجَثا رجلٌ مِنَ الأعرابِ مِن قاصيةِ النَّاسِ، وألْوَى بيدِهِ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ: ناسٌ منَ النَّاسِ لَيسوا بأنبياءَ ولا شُهَداءَ، يغبِطُهُمُ الأنبياءُ والشُّهداءُ علَى مجالِسِهِم وقُربِهِم [منَ اللَّهِ]؟ انعَتهم لَنا جلِّهِم لَنا – يعني صِفهُم لَنا فسُرَّ وجهُ النَّبيِّ بِسؤالِ الأعرابيِّ، وقالَ هم ناسٌ من أفناءِ النَّاسِ، ونَوازعِ القبائلِ، لم تصِلْ بينَهُم أرحامٌ متقاربةٌ، تحابُّوا في اللَّهِ وتصافَوا، يضعُ اللَّهُ لَهُم يومَ القيامةِ مَنابرَ من نورٍ، فيَجلِسونَ علَيها، فيجعَلُ وجوهَهُم نورًا، وثيابَهُم نورًا، يفزَعُ النَّاسُ يومَ القيامةِ ولا يفزَعونَ، وَهُم أولياءُ اللَّهِ لا خَوفٌ عليهم ولا هُم يَحزَنونَ ".

(حسنه الألباني في فقه السيرة: ١٥١)

٩- أصحاب القلوب السليمة تكتب لهم النجاة يوم العرض على الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء:٨٧- ٨٩)

فقد علَّق الله تعالى النجاة يوم القيامة بسلامة القلب.

والقلبُ السليمُ: هو القلبُ الذي سَلِمَ مِن شُبُهَاتِ الكُفرِ، والنفاقِ، والابتداع، وسَلِمَ مِن شَهَوَاتِ الزَّيْغِ والضَّلَال، والقلبُ السليمُ: هو الذي سَلَّمَ لِعُبُودِيَّةِ رَبِّهِ، وامتَثَلَ واستَسْلَمَ لأمرِهِ، حُبًّا وخَوْفًا، ورَجَاءً وطمعًا. وسلَّمَ لِرَسُولِهِ ﷺ تَصدِيقًا وطَاعَة؛ **قال الله تعالى:** ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:١١٢).

وذكر ابن القيم أن صفات القلب السليم خمسٌ، وهي:

١- أن يسلم من شركٍ يناقض التوحيد.

٢- ومن بدعة تخالف السنة.

٣- ومن شهوة تخالف الأمر.

٤- ومن غفلة تناقض الذكر.

٥- ومن هوى يناقض التجريد والإخلاص.

١٠ - سلامة الصدر سبب لدخول الجنة:

فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي عن أنس ﷺ قال: " كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ[١] مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ....ثلاثا ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي[٢] فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ[٣] وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا. فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟! فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ.. غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ[٤] ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث عياض بن حمار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"..... وَأَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ...".

٧- سلامة الصدر من صفات أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ (الأعراف:٤٣)

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر:٤٧)

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، والذينَ علَى إثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ علَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ، لا اخْتِلَافَ بيْنَهُمْ ولَا تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ منهمْ زَوْجَتَانِ،....الحديث ".

فمِن أبرَزِ صِفاتِ أهلِ الجَنَّةِ صَفاءُ قُلوبِهم، وخُلُوُّها مِنَ الشَّحناءِ والبَغضاءِ؛ فاللهُ تعالَى يُزيلُ مِن صُدورِ أهْلِ الجنَّةِ الأحْقادَ والبَغضاءَ والكَراهِيةَ والحسَدَ الَّتي كانت بيْنهم في الدُّنيا؛ حتَّى يَكونوا في الجنَّةِ إخْوانًا مُتَحابِّينَ، ومع أنَّ مَنازِلَهم فيها مُتفاوِتةٌ، فإنَّه لا يَحسُدُ أحدٌ مِنهم أحَدًا على ارتفاعِ مَنزِلتِه عَليه.

---

١ - تنطف لحيته: يتساقط منها الماء.
٢ - لاحيت أبي: أي نازعته.
٣ - تعارّ: أي تقلب في فراشه.
٤ - قال ابن كثير في " تفسيره": ٣٣٨/٤: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وكذا قال محقق المسند شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

قال ابن القيم-رحمه الله- في كتابه إغاثة اللهفان": " ولقد حرم الله تعالى الجنة على من في قلبه نجاسة وخبث، ولا يدخلها إلا بعد طيبه وطهره. فإنها دار الطيبين. **ولهذا يقال لهم:** ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣). **وكما قال تعالى:** ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢). فالجنة لا يدخلها خبيث، ولا من فيه شيء من الخبث. فمن تطهر فى الدنيا ولقى الله طاهرًا من نجاساته دخلها بغير معوق، والله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه موقوفا على الطهارة، فلا يدخل المصلى عليه حتى يتطهر. وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفا على الطيب والطهارة، فلا يدخلها إلا طيب طاهر. فهما طهارتان: طهارة البدن. وطهارة القلب. ولهذا شرع للمتوضئ أن يقول عقيب وضوئه:" أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ". فطهارة القلب بالتوبة، وطهارة البدن بالماء. فلما اجتمع له الطهران صلح للدخول على الله تعالى، والوقوف بين يديه ومناجاته.

نماذج ممن سلمت قلوبهم:

- **سلامة قلب النبي صلى الله عليه وسلم:**

قد امتدح الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، **ولنا فيه قدوة حسنة، فقد كان من دعائه:**" واسلل سخيمة صدري". (أخرجه أبو داود، والترمذي) وسخية الصدر: أي غشه وحقده وغله.

وأخرج البخاري ومسلم عن سعد بن هشام بن عامر أنه قال لعائشة -رضي الله عنها-: أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ:" أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟، قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ:" فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قلت: يا رسول الله! هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟، قَالَ:" لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ".

انظر أخي الكريم إلى سلامة قلب النبي ﷺ، فإنه لم يغضب لنفسه ولم يبغض أحدا لذاته، إنما كان أمره لله تعالى وحده.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

قال ابن القيم-رحمه الله-: تأمل حال النبي ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم وهو يقول:" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ "، كيف جمع في هذه الكلمات أربعة مقامات من الإحسان، قابل بها إساءتهم العظيمة إليه: أحدها: عفوه عنهم. والثاني: استغفارهم لهم. والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون. الرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال: اغفر لقومي. كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به هذا ولدي، هذا غلامي، هذا صاحبي فهبه لي ". (بدائع الفوائد لابن القيم: ٢/٢٤٣).

- **انظر أخي الكريم...** إذا كان هذا هو حال النبي ﷺ مع أعدائه، فكيف حاله مع أصحابه -رضي الله عنهم- أجمعين.

وأخرج الترمذيُّ عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيِّ يَقُولُ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ ".

(صحيح الترمذي: ١٦٤٠)

- **حرص الرسول ﷺ على سلامة قلوب أصحابه:**

أخرج البخاريُّ عن علي بن الحسين- رضي الله عنهما- أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا يَقْلِبُهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ:" عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ! يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنْ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا ".

انظر أخي الكريم: كيف أن النبي ﷺ أراد أن يبعد الشبهة عن نفسه حتى لا يظن به أحدٌ سوءًا، ويربي أصحابه- رضي الله عنهم- على أن تكون قلوبهم سليمة من سوء الظن بالآخرين.

- **وهذا نبي الله يوسف-عليه السلام-** مثلًا فذًا في سلامة الصدر، فبعد أن فعل به إخوانه ما فعلوا، وبعد أن صار في منزلة يقدر فيها على الانتقام، أبى أن يثأر لنفسه **ثم قال لهم:**

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (يوسف: ٩٢). فعفا عنهم، ثم استغفر لهم، وأعجب من هذا أنه التمس لهم العذر فيما فعلوه، **فقال:** ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ (يوسف: ١٠٠).

سلامة قلوب الصحابة:

إن سلامة القلب من أهم صفات عباد الرحمن، وأولهم أصحاب النبي ﷺ الذين مدحهم الله في كتابه قائلا: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر: ٩، ١٠)

- **علي بن أبي طالب ﷺ:**

رأى علي بن أبي طالب، طلحة بن عبيد اللَّه، في وادٍ مُلقى فنزل، فمسح التراب عن وجهه- وكان بينهما قتال- فقال: عزيزٌ عليَّ يا أبا محمد بأن أراك مجندلًا في الأودية، تحت نجوم السماء، إلى اللَّه أشكو عُجري وبُجري[1]". (سير أعلام النبلاء: ٣٦/١)

وقال أبو حبيبة مولى طلحة بن عبيد اللَّه:" دخلت على علي بن أبي طالب مع عمران بن طلحة، بعد وقعة الجمل، فرحب به وأدناه، ثم قال: إني لأرجو أن يجعلني وأباك ممن قال اللَّه فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧). (سير أعلام النبلاء:٣٨/١).

- **ابن عباس -رضي الله عنهما-:**

قال ابن بريدة -رحمه الله-: شتم رجل ابن عباس-رضي الله عنهما-: فقال: إنك لتشتمني، وفيّ ثلاث خصال: إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل، فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبدا، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلدًا من بلدان المسلمين فأفرح به وما لي به من سائمة.

(صفة الصفوة:٧٥٤/١)

- **أبي دجانة الأنصاري ﷺ :**

عن زيد بن أسلم- رحمه الله- قال:" دخل ناس على أبي دجانة ﷺ وهو مريض، وكان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى، كان قلبي للمسلمين سليما ". (صفة الصفوة:٤٨٦/١) (سير أعلام النبلاء:٢٤٣/١)

والنماذج على سلامة قلب الصحابة أكثر من أن تُحصى، وفي هذا القدر الكفاية.

١- قال الأصمعي: عُجري وبجري: سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.

- **وانظر إلى الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله-** يُضرب ويُعذَّب على يد المعتصم، وحين أخذوه لمعالجته بعد وفاة المعتصم، وأحسَّ بألمٍ في جسده، قال:" اللهم اغفر للمعتصم ".

سبحان الله! يستغفر لمن كان سببًا في ألمه، إنه منطق عظيم لا تعرفه إلا الصدور التي حملت قلوبًا كبيرة عنوانها:" **سلامة الصدر** ".

- ***قال سفيان بن دينار لأبي بشير:*** " أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرًا ويؤجرون كثيرًا. قال سفيان: ولم ذاك؟ قال أبو بشير:" لسلامة صدورهم".

- **فليحاول كل منا أن يكون كأبي ضمضم الذي أخبر عنه النبي ﷺ.**

فقد أخرج أبو داود عن قتادة بن دعامة قال: قال رسول الله ﷺ: " **أيعجز أحدُكم أن يكون مثلَ أبي ضمضمَ؛ كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدَّقتُ بعِرضي على عبادِك** ". (صحيح أبي داود: ٤٨٨٦)

وفي هذا الحَديثِ يُشيرُ النَّبيُّ ﷺ إلى ذلك بقولِه:" **أيَعْجِزُ أحدُكم أنْ يكونَ مِثلَ أبي ضَمْضَمٍ؟!**"؛ وهو رجلٌ منَ السَّابقينَ في الأمَمِ السَّابِقةِ، ثمَّ أعقَبَ الكلامَ بعد هذا التَّشويقِ لفِعلِ أبي ضَمْضَمٍ، فقال:" **كان إذا أَصبحَ قال: اللَّهمَّ إنِّي قد تَصدَّقتُ بعِرْضِي على عِبادِك**"، العِرْضُ: موضِعُ المَدْحِ والذَّمِّ منَ الإنسانِ، سواءٌ كان في نفْسِه أو في سلَفِه، والمعنَى: فلو انتقَصَ أحدٌ من عِبادِك مِن عِرْضي، أو ذَكرَني بما يَرجِعُ إليَّ عَيبُه، فإنِّي جعَلتُ أذِيَّتَهم لي صدَقَةً منِّي عليهم بأنْ سامَحتُهم، وليس لي عليه مِن دعوَى الانتصارِ، فأتسَبَّب في رفْعِ الإثْمِ المتعَلِّقِ بي عنهم.

قال ابن القيم -رحمه الله-: " وفي هذا الجود من سلامة الصدر، وراحة القلب، والتخلص من معاداة الخلق ما فيه ". (تهذيب مدارج السالكين:١/ ٤٠٧)

فهيا أخي... هيا... طهر قلبك وكن سليم الصدر لإخوانك لتسعد في الدنيا والآخرة، ودائمًا وأبدًا ردِّدْ كما كان أسلافك يرددون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠)

نسأل الله أن يُؤلِّف بين قلوب المسلمين، ولا يجعل فيها غلًا ولا حسدًا، وأن يطهِّرها من الشحناء والبغضاء... آمين.

ثالثاً: فضل سلامة الصدر من أقوالِ السلَفِ والعُلَماءِ[1]

١- **سُئِل ابنُ سِيرينَ -رحمه اللهُ -**: ما القَلبُ السَّليمُ؟ فقال: النَّاصِحُ للهِ في خَلقِه.

(الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب:٩/٦١٢٢).

٢- **ولمَّا حضَرَت عبدَ المَلِكِ بنَ مَروانَ الوفاةُ، جمَع ولَدَه، وفيهم مَسلَمةُ، وكان سَيِّدَهم، فقال:**" أوصيكم بتقوى اللهِ؛ فإنَّها عِصمةٌ باقيةٌ، وجنَّةٌ واقيةٌ، وهي أحصَنُ كَهفٍ، وأزيَنُ حِليةٍ، ليَعطِفِ الكبيرُ منكم على الصَّغيرِ، وليَعرِفِ الصَّغيرُ منكم حَقَّ الكبيرِ، مع سلامةِ الصَّدرِ، والأخذِ بجَميلِ الأمورِ ".

(رواه المعافى بن زكريا في الجليس الصالح الكافي ص: ٤٥٣) (ابن عساكر في تاريخ دمشق:٦٣/١٧١).

٣- **وقال سُفيانُ بنُ دينارٍ-رحمه الله-**: قُلتُ لأبي بَشيرٍ -وكان من أصحابِ عَليٍّ-: أخبِرْني عن أعمالِ مَن كان قَبْلَنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرًا، ويُؤجَرون كثيرًا. قُلتُ: ولمَ ذاك؟ قال: لسلامةِ صُدورِهم.

(رواه هناد في الزهد:٢/٦٠٠).

٤- **وقال الحارِثُ المُحاسِبيُّ-رحمه الله-**:" إنَّه لا طريقَ أقرَبُ من الصِّدقِ، ولا دليلَ أنجَحُ من العِلمِ، ولا زادَ أبلغُ من التَّقوى، وما رأيتُ أنفى للوَسواسِ مِن تَركِ الفُضولِ، ولا أنوَرَ للقَلبِ من سلامةِ الصَّدرِ ".

(رسالة المسترشدين للمحاسبي:١٦١).

٥- **وقال قاسِمٌ الجوعيُّ-رحمه الله-**:" أفضَلُ طُرُقِ الجنَّةِ سلامةُ الصَّدرِ ".

(الزهد والرقائق للخطيب البغدادي:٣٢) (صفة الصفوة لابن الجوزي:٢/٣٨٩) (بستان العارفين للنووي ص: ٣٤).

٦- **وقال بدرُ الدِّينِ الغَزِّيُّ-رحمه الله-**:" فمِن آدابِ العِشرةِ... سلامةُ قَلبِه للإخوانِ، والنَّصحيةُ لهم، وقَبولُها منهم؛ **لقَولِه تعالى:** ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ **(الشعراء: ٨٩)**

٧- **وقال السَّقَطيُّ -رحمه اللهُ-**:" من أجَلِّ أخلاقِ الأبرارِ: سلامةُ الصَّدرِ للإخوانِ، والنَّصيحةُ لهم ".

(آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لبدر الدين الغزي ص: ٢٠).

٨- **وقال إسماعيلُ بنُ عُبَيدِ بنِ أبي المُهاجِرِ-رحمه اللهُ-**:" لَمَّا حضَرَت أبي الوفاةُ جَمَع بنيه، فقال: يا بَنيَّ، عليكم بتقوى اللهِ، وعليكم بالقُرآنِ فتعاهَدوه، وعليكم بالصِّدقِ، حتَّى لو قَتَل أحدُكم قتيلًا ثمَّ سُئِل عنه، أقَرَّ به، واللهِ ما كذَبْتُ كَذْبةً منذُ قرأتُ القُرآنَ، وعليكم بسَلامةِ الصُّدورِ لعامَّةِ المُسلِمين؛ فواللهِ لقد رأيتُني وإنِّي لأبرَحُ مِن بابي، فما ألقى مُسلِمًا إلَّا والذي في نفسي له كالذي في نفسي لنفسي، أفتُرَوني أحِبُّ لنَفسي إلَّا خيرًا؟! ". **(حلية الأولياء لأبي نعيم:٦/ ٨٥) (تاريخ دمشق لابن عساكر:٣٧/ ٤٠٧).**

٩- **وقال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ-رحمه الله-**:" لم يُدرِكْ عندَنا مَن أدرَك بكثرةِ صيامٍ ولا صلاةٍ، وإنَّما أدرك بسخاءِ الأنفُسِ، وسلامةِ الصَّدرِ، والنُّصحِ للأمَّةِ ". **(حلية الأولياء لأبي نعيم:٨/ ١٠٣)**

١٠- **وقال أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ-رحمه الله-**:" من الفُتُوَّةِ: سَخاوةُ النَّفسِ، وسلامةُ الصَّدرِ ".

(الفتوة ص: ١٣).

١- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.

١١- **وقال أبو سُلَيمانَ الدَّارانيُّ-رحمه الله-:**" ما أدرَك عِندَنا مَن أدرَك بكثرةِ صلاةٍ ولا صومٍ، ولكنْ بسَخاءِ النَّفسِ، وسلامةِ الصَّدرِ، والنُّصحِ للأمَّةِ ". **(بستان العارفين للنووي ص: ٣٢).**

- **وفي روايةٍ قال:**" لم يبلُغِ الأبدالُ[1]ما بلغوا بصَومٍ ولا صلاةٍ، ولكِنْ بالسَّخاءِ، وشجاعةِ القُلوبِ، وسلامةِ الصُّدورِ، وذَمِّهم أنفُسَهم عِندَ أنفُسِهم ". **(حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم:٩/ ٢٧٤).**

١٢- **وقد قيل:** أخلاقُ الأبدالِ عَشَرةُ أشياءَ: سلامةُ الصَّدرِ، وسَخاوةُ المالِ، وصِدقُ اللِّسانِ، وتواضُعِ النَّفسِ، والصَّبرُ في الشِّدَّةِ، والبُكاءُ في الخَلوةِ، والنَّصيحةُ للخَلقِ، والرَّحمةُ للمُؤمِنين، والتَّفكُّرُ في الفَناءِ، والعِبرةُ في الأشياءِ. **(تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص: ٥٧٢).**

١٣- **وقال أبو حامِدٍ الغَزاليُّ-رحمه الله-:**" مهما رأيتَ إنسانًا يُسيءُ الظَّنَّ بالنَّاسِ طالبًا للعُيوبِ، فاعلَمْ أنَّه خبيثُ الباطِنِ، وأنَّ ذلك خُبثُه يترشَّحُ منه، وإنَّما رأى غيرَه من حيثُ هو؛ فإنَّ المُؤمِنَ يَطلُبُ المعاذيرَ، والمُنافِقُ يَطلُبُ العُيوبَ، والمُؤمِنُ سليمُ الصَّدرِ في حَقِّ كافَّةِ الخَلقِ ". **(إحياء علوم الدين:٣/ ٣٦).**

١٤- **وقال ابنُ العَرَبيِّ-رحمه الله-:**" لا يكونُ القَلبُ سليمًا إذا كان حقودًا حُسودًا، مُعجَبًا مُتكَبِّرًا، وقد شرَط النَّبيُّ ﷺ في الإيمانِ أن يُحِبَّ لأخيه ما يحِبُّ لنَفسِه ". **(أحكام القرآن لابن العربي:٣/٤٥٩).**

١٥- **وقال ابنُ تَيميَّةَ-رحمه الله-:**" فالقَلبُ السَّليمُ المحمودُ، هو الذي يريدُ الخيرَ لا الشَّرَّ، وكمالُ ذلك بأن يعرِفَ الخيرَ والشَّرَّ؛ فأمَّا من لا يَعرِفُ الشَّرَّ فذاك نقصٌ فيه لا يُمدَحُ به ". **(الفتاوى الكبرى:٥/٢٦٤).**

١٦- **وقال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-:**" أيُّ لذَّةٍ ونعيمٍ في الدُّنيا أطيَبُ مِن بِرِّ القَلبِ، وسلامةِ الصَّدرِ، ومعرفةِ الرَّبِّ تعالى ومحبَّتِه، والعمَلِ على موافقتِه؟! وهل العَيشُ في الحقيقةِ إلَّا عَيشُ القلبِ السَّليمِ ".
(الجواب الكافي:١/ ٢٨٢).

١٧- **وقال محمَّدٌ الغَزاليُّ-رحمه الله-:**" ليس أروَحُ للمَرءِ ولا أطرَدُ لهُمومِه ولا أقَرُّ لعَينِه من أن يعيشَ سَليمَ القَلبِ، مُبرَّءًا من وساوِسِ الضَّغينةِ، وثَوَرانِ الأحقادِ، إذا رأى نعمةً تنساقُ لأحَدٍ رَضِيَ بها، وأحسَّ فَضلَ اللهِ فيها، وفَقْرَ عبادِه إليها، وإذا رأى أذًى يَلحَقُ أحَدًا من خَلقِ اللهِ رثى له، ورجا اللهَ أن يُفَرِّجَ كَرْبَه، ويَغفِرَ ذَنبَه... وبذلك يحيا المُسلِمُ ناصِعَ الصَّفحةِ، راضيًا عن اللهِ وعن الحياةِ، مستريحَ النَّفسِ مِن نَزَعاتِ الحِقْدِ الأعمى؛ فإنَّ فسادَ القَلبِ بالضَّغائِنِ داءٌ عَياءٌ، وما أسرَعَ أن يتسَرَّبَ الإيمانُ من القَلبِ المغشوشِ، كما يتسَرَّبُ السَّائِلُ من الإناءِ المثْلومِ! ونظرةُ الإسلامِ إلى القَلبِ خطيرةٌ؛ فالقلبُ الأسوَدُ يُفسِدُ الأعمالَ الصَّالحةَ ويَطمِسُ بهجتَها ويُعَكِّرُ صَفوَها، أمَّا القلبُ المُشرِقُ فإنَّ اللهَ يُبارِكُ في قليلِه، وهو إليه بكُلِّ خيرٍ أسرَعُ ". **(خلق المسلم ص: ٨٦).**

١- المرادُ بالأبدالِ على الصَّحيحِ: العُلَماءُ العامِلون والعبَّاد الصَّالحون، الذين يخلُفُ بعضُهم بعضًا، كلَّما مات عالمٌ قام بدَلُه، وكلَّما مات عابدٌ خَلَفَه مَن بَعدَه. (توضيح مقاصد العقيدة الواسطية للبراك ص: ٢٤٠).

ثالثاً: فضل إلقاء السلام وإفشائه.

مقدمة:

- السلام من أسماء الله الحسنى، **قال تعالى:** ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ (الحشر:٢٣)

وأخرج البخاري في الأدب المفرد والبزار والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله: "السلامُ اسمٌ من أسماءِ اللهِ وضَعَهُ اللهُ في الأرضِ، فأفْشُوهُ بينَكمْ...".

- والجنة دار السلام، **قال تعالى:** ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ (يونس:٢٥)

وقيل: "**سميت بهذا الاسم لأمور منها:** أنها دار السلامة من كل بلية وكل آفة، وكل مكروه".

وقيل: "**سميت بهذا:** لأن الله تعالى من أسمائه "**السلام**"، والجَنَّة هي داره". ***كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري، حيث قال الحبيب النبي ﷺ:*** " فأستأذن على ربي في داره "؛ ولهذا سميت بدار السلام.

- والسلام هو شعار أهل الجَنَّة حيث تحيتهم السلام، وتستقبلهم الملائكة بالسلام، والله تعالى يسلم عليهم، وكلامهم سلام، سالم من اللغو والفُحْش، **قال تعالى:** ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (إبراهيم:٢٣)

وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد:٢٣،٢٤)

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم:٦٢)

وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ (الأحزاب:٤٤)

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ (يس:٥٧،٥٨)

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر:٧٣)

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (الواقعة:٢٥،٢٦)

وقال تعالى عن ليلة القدر: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر:٥) قيل: سلام من الشر كله، فلا يكون فيها إلا السلامة، وقيل: تنزل الملائكة في هذه الليلة تسلم على أهل الإيمان، وقيل: لا يستطيع الشيطان أن يمسَّ أحدًا فيها بسوء، وقيل غير ذلك.

والسلام تحية أهل الإسلام في الدنيا، وهو طريق المحبة والتعارف بين المسلمين، ومَن حافظ عليه حاز فضل الاتباع، وكلما زادت كلمات السلام؛ زادت حسناته، والسلام من حقوق الأُخوَّة الإيمانية.

فضل إفشاء السلام وبذله:

١ - بذل السلام من خير أعمال الإسلام:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو- رَضِيَ اللهُ عَنْهمَا- **أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟ قال:" تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ ".**

٢ - بذل السلام من حَقِيقَةِ الْإِيمَان، وسبب للمحبة والألفة بين المسلمين:

إلقاءُ السَّلامِ وإفشائه مِن الشَّعائرِ الدِّينيَّةِ الَّتي رغَّب فيها الإسلامُ، وحَثَّ عليها الشَّرعُ الحَنيفُ؛ وذلك لِما فيها مِن نَشرِ المحبَّةِ والأُلفَةِ والمودة والتآلف بينَ النَّاسِ.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا[١]، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحابُّوا [٢]، أوَلا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا[٣] السَّلامَ بيْنَكُمْ ".**

وأخرج البخاري في الأدب المفرد من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" والذي نَفسي بيدِهِ! لا تَدْخُلوا الجنةَ حتى تُسْلِمُوا، ولا تُسْلِمُوا حتى تَحابُّوا، وأَفْشُوا السلامَ تَحابُّوا، وإِيَّاكُمْ والبُغْضَةَ؛ فإنَّها هيَ الحالِقَةُ، لا أَقُولُ لَكُمْ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، ولكنْ تَحْلِقُ الدِّينَ ".** (صحيح الأدب المفرد: ١٩٧)

وأخرج الحاكم من حديث أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" أَفْشُوا السلامَ تَحابُّوا ".**

(صحيح الجامع:١٠٨٦)

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: **" ثلاثٌ يُصْفِين لك وُدَّ أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه ".**

قال الإمام النووي-رحمه الله-: " والسلام أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين. اهـ

وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: " بذل السلام يتضمن مكارم الاخلاق، والتواضع، وعدم الاحتقار، ويحصل به التآلف والتحابب. اهـ

ولله در القائل:

قد يمكثُ الناسُ دهرًا ليسَ بينهمُ ... ودٌّ فـيزرعــهُ التسليمُ واللُّطْــفُ

---

١ - أَيْ: إِيمَانًا كَامِلًا (تحفة الأحوذي:٦/ ٣٠٢)

٢ - "وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا"، -أَيْ: لَا يَكْمُل إِيمَانكُمْ، وَلَا يَصْلُح حَالكُمْ فِي الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ كُلّ مِنْكُمْ صَاحِبَهُ. (شرح النووي: ١/ ١٤٣).

٣ - أفشوا: من الإفشاء؛ وهو الإشاعة والإكثار، أي: أظهروه.

٣- إفشاء السلام سبب لإغاظة الكفار، والمشركين، وأعداء الدين:

فقد أخرج ابن ماجه عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قالت: قَالَ رسول الله ﷺ:" مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ". (صحيح الجامع: ٥٦١٣)

- وفي رواية:" إنَّ اليهودَ قومُ حسدٍ، وإنهم لا يحسدونَنا على شيءٍ كما يحسدونا على السلامِ، وعلى آمين ". (السلسلة الصحيحة: ٦٩١)

وإغاظة المشركين مطلب شرعي، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢٠)

٤- بذل السلام سبب لحفظ الله للعبد ورعايته له:

- أخرج أبو داود والبخاري في الأدب المفرد من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ثلاثةٌ كلُّهم ضامنٌ[1] علَى اللهِ عزَّ وجلَّ: رجلٌ خرج غازيًا في سبيلِ اللهِ فهو ضامنٌ علَى اللهِ حتَّى يتوفَّاه فيدخِلَه الجنَّةَ أو يردَّه بما نال من أجرٍ وغنيمةٍ، ورجلٌ راحَ إلى المسجدِ فهو ضامنٌ علَى اللهِ حتَّى يتوفَّاه فيدخلَهُ الجنَّةَ أو يردَّه بما نال من أجرٍ وغنيمةٍ، ورجلٌ دخل بيتَه بسلامٍ فهو ضامنٌ علَى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ". (صحيح أبي داود: ٢٤٩٤) (صحيح الجامع:٣٠٥٣)

- وفي رواية:" ثلاثةٌ كلُّهم ضامنٌ علَى اللَّهِ إن عاشَ رزقَ وَكُفيَ وإن ماتَ أدخلَهُ اللَّهُ الجنَّةَ: مَن دخلَ بيتَهُ فسلَّمَ فَهوَ ضامنٌ على اللَّهِ، ومَن خرجَ إلى المسجِدِ فَهوَ ضامنٌ علَى اللَّهِ، ومَن خرجَ في سبيلِ اللَّهِ فَهوَ ضامنٌ على اللَّهِ ".

٥- إفشاء السلام سبب لعلو شأن المسلمين:

فقد أخرج الطبراني من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أَفْشُوا السَّلَامَ كَيْ تَعْلُوا ".

(صحيح الجامع:١٠٨٨)

قال المناوي-رحمه الله- في فيض القدير:٢/٣٠":" أي يرتفع شأنكم؛ فإنكم إذا أفشيتموه تحاببتم فاجتمعت كلمتكم، فقهرتم عدوكم وعلوتم عليه. وقيل: أراد الرفعة عند الله ".

---

١ - فِي ضَمَانِ اللَّهِ: أي في كلائه وحفظه ورعايته (أفاده المناوي-رحمه الله-).

٦- إفشاء السلام من أسباب السلامة:

والأمن والأمان، والسلامة والسلام في إفشاء السلام.

فقد أخرج ابن حبان في صحيحه والبخاري في الأدب المفرد عن البراء بن عازب ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: " أَفْشُوا السَّلاَمَ تَسْلَمُوا ". (صحيح الترغيب والترهيب:٢٦٩٦)

وأخرجه الإمام أحمد بلفظ: " أفشوا السلام تسلموا، والأشرة شر". (الصحيحة:١٤٩٣) (صحيح الجامع:١٠٨٧)

قال المناوي-رحمه الله-في فيض القدير:٢/٢٢":"أفشوا السلام" بينكم" تسلموا"؛ من التنافر، والتقاطع، وتدوم لكم المودة، وتجمع القلوب، وتزول الضغائن والحروب، فأخبر المصطفي ﷺ أن السلام يبعث على التحابب، وينفي التقاطع ". اهـ

٧- بذل السلام سبيل للفوز برحمة الله:

والبادئُ بالسلام أولى الناس بالله، وأقربُهم إلى رحمته، وأعلاهُم منزلة، هذا من يبدأ بالسلام.

- ***فقد أخرج أبو داود والترمذي عن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلاَمِ ". (صحيح الجامع: ٢٠١١- ٦١٢١) (الصحيحة:٣٣٨٢).

وقوله ﷺ:"أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ": معناه: أطوعهم لله، كما في بعض الروايات.

وقال الطيبي-رحمه الله- : أَيْ: أَقْرَبُ الْمُتَلَاقِيَيْنِ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ مَنْ بَدَأَ بِالسَّلَامِ ".

(انظر عون المعبود: ٤/٧٠) (تحفة الأحوذي: ٦/ ٤٩٥)

- ***وفي رواية :*** " قِيلَ يا رسولَ اللَّهِ! الرَّجُلانِ يلتقيانِ، أيُّهما يبدأُ بالسَّلامِ؟ فقالَ: أَوْلاَهُما باللهِ ".

(صَحِيح التَّرْغِيبِ والترهيب:٢٧٠٣)

- ***ورواه الإمام أحمد بلفظ:*** " مَن بَدَأَ بالسَّلامِ فهو أَولى باللهِ وبِرَسولِه ".

وقوله ﷺ:" أَوْلاهما باللهِ ": أي: مَن بدَأَ مِنهما بالسَّلامِ فهو أقرَبُ إلى اللهِ تعالى، وأقرَبُ إلى الفوزِ برحمته. كما مر بنا كلام الطيبي -رحمه الله-.

٨- بذل السلام سبب للبركة:

فقد أخرج الترمذي من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَا بُنَيَّ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ؛ يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ ".

٩- بذل السلام من موجبات المغفرة:

أخرج الطبراني في الكبير عَنْ هَانِئِ بْنِ يَزِيدَ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ:" إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ، بَذْلَ السَّلَامِ، وَحُسْنَ الْكَلَامِ ".

(السلسلة الصحيحة: ١٠٣٥) (صحيح الجامع: ٢٢٣٢)

وبَذْلُ السَّلامِ هو إظْهارُه وتَعميمُه، والمَقصودُ ببَذْلِه: نَشْرُه والإكْثارُ منه بيْنَ أهلِ الإسلامِ، لكُلِّ خاصٍّ وعامٍّ، وهو طريقٌ مُوصِلٌ للمحبَّةِ بيْنَ المُسلِمين، والسَّلامُ هو التَّحيَّةُ المُبارَكةُ في هذه الأُمَّةِ.

١٠- بذل السلام سبب لتحصيل الحسنات:

فقد أخرج أبو داود والنسائي والترمذي من حديث عمران بن حصين ﷺ قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: السلامُ عليكم، فردَّ عليه السلامَ، ثم جلس فقال النبيُّ ﷺ:" عشْرٌ ". ثم جاء آخرُ فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ، فردَّ عليه، فجلس، فقال:" عشرون ". ثم جاء آخرُ فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، فردَّ عليه، فجلس، فقال:" ثلاثون ". (صحيح أبي داود: ٥١٩٥) (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٧١٠)

- *وفي رواية:* أن رجلًا أتى النبي ﷺ، فقال: السلام عليك، ثم قال: وعليكم السلام، ثم قعد، فقال: " عشر"، ثم سلم عليه مرة أخرى رجل آخر، فقال: السلام عليك ورحمة الله، ثم قعد فرد عليه، وقال: " عشرون"، ثم سلم عليه آخر، فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، ثم قعد، فرد عليه، ثم قال: " ثلاثون ".

وأخرج الطبراني بسند صحيح سهل بن حنيف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من قال:" السلامُ عليكم"، كُتِبَتْ له عشرُ حسناتٍ، ومن قال:" السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ "، كُتِبت له عشرون حسنةً ، ومن قال:" السلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه " كُتِبَتْ له ثلاثونَ حسنةً ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٧١١)

تنبيه: هناك مَثل فاسد يردده بعض الجهال يقولون: كثر السلام يقل المعرفة.

وهذا قول خاطئ لا يجب أن يتفوَّه به مسلم، فالشارع الحكيم حضَّ على إفشاء السلام؛ لأنه مفتاح الحب والمودة بين الناس، كما أخبر بهذا الحبيب النبي ﷺ، بالإضافة إلى أن **هذه الكلمة تصطدم تمامًا مع كلام النبي ﷺ. *ففي الحديث الذي أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** " إذا لقي أحدكم أخاه فليُسَلِّم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو حائط أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه ". (صحيح الجامع: ٧٨٩)، (السلسلة الصحيحة: ١٨٦)

فهم يقولون:" كثر السلام يقل المعرفة"، ونحن نقول:" كثر السلام يزيد في الحسنات"، وينشر الحب والمودة بين الناس، وسبيل دخول الجنة.

١١ - بذل السلام سبب لرفع الدرجات:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " أتاني اللَّيْلَةَ رَبِّي في أحْسَنِ صُورَةٍ أحْسَبُهُ قالَ: في المَنامِ فَقالَ: يا مُحَمَّدُ"! هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأعْلى؟ قُلْتُ: لا، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتّى وجَدْتُ بَرْدَها بَيْنَ ثَدْيَيَّ -أوْ قالَ: في نَحْرِي- فَعَلِمْتُ ما في السَّماواتِ وما في الأرْضِ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ! هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأ الأعْلى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، في الكَفّاراتِ، والكَفّاراتُ المُكْثُ في المَساجِدِ بَعْدَ الصَّلَواتِ، والمَشْيُ عَلى الأقْدامِ إلى الجَماعاتِ، وإسْباغُ الوُضُوءِ في المَكارِهِ، ومَن فَعَلَ ذَلِكَ عاشَ بِخَيْرٍ ومات بِخَيْرٍ وكانَ مِن خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ ولَدَتْهُ أُمُّهُ. وقُلْ يا مُحَمَّدُ إذا صَلَّيْتَ: اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ فِعْلَ الخَيْراتِ وتَرْكَ المُنْكَراتِ وحُبَّ المَساكِينِ، وإذا أرَدْتَ بِعِبادِكَ فِتْنَةً فاقْبِضْنِي إلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، قالَ: والدَّرَجاتُ، إفْشاءُ السَّلامِ وإطْعامُ الطَّعامِ والصَّلاةُ بِاللَّيْلِ والنّاسُ نِيامٌ ". (صحيح الترمذي: ٣٢٣٣) (السلسلة الصحيحة:٣١٦٩)

وأخرج البخاري في الأدب المفرد والبزار والطبراني في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله: " السلامُ اسمٌ من أسماءِ اللهِ[١] وضَعَهُ اللهُ في الأرضِ[٢]، فأفْشُوهُ بينَكمْ[٣]، فإنَّ الرجلَ المسلمَ إذا مَرَّ بقومٍ فسلَّمَ عليهم، فردُّوا عليه؛ كان لهُ عليهم فضلُ درجةٍ بتذكيرِهِ إيَّاهُمُ السلامَ، فإنْ لمْ يرُدُّوا عليه رَدَّ عليه مَنْ هوَ خيرٌ مِنهمْ وأطْيبُ[٤] ".

(الصحيحة: ١٨٤) (صحيح الجامع: ٣٦٩٧) (صحيح الأدب المفرد:٧٦٤)

قال ابن حبان-رحمه الله-: " والبادئ بالسلام بين حسنتين؛ أحدهما: تفضيل الله عز وجل إياه على المُسلَّم عليه بفضل درجة، لتذكيره إياهم بالسلام، وبين رَدِّ الملائكة عليه عند غفلتهم عن الرد. اهـ

(روضة العقلاء لابن حبان)

١٢ - بذل السلام سبب لدخول الجنة:

وأخرج الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله:

" اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ ".

(صحيح الترمذي: ١٨٥٥) (صحيح الجامع:١٠٤١)

وأخرج الطبراني وابن حبان في صحيحه عن أبي شريح العدوي خويلد بن عمرو ﷺ قال: يا رسولَ اللهِ! أَخبِرْني بشيءٍ يوجب لي الجنةَ؟ قال:" طِيبُ الكلامِ، وبذلُ السلامِ، وإطعامُ الطعامِ ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٦٩٩)

---

١ - السَّلامُ اسْمٌ من أسْماءِ اللهِ: ومعناه: الذي سَلِمَ مِن كُلّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، ومن الشَّريكِ والنِّدِّ.
٢ - وَضَعَه اللهُ في الأرْضِ: أي: أمَرَكم به وعلَّمَكم لَفْظَه.
٣ - فأفْشوه بينكم: أي: انْشُروه بينكم بالتَّسْليمِ وغَيْرِه، وأَظْهِروه، فإنَّ في إظهارِه أمانًا وتَواصُلًا بين أصْحابِه والعامِلينَ به.
٤ - رَدَّ عليه مَنْ هو خَيْرٌ منهم وأطْيَبُ: والمرادُ بهم الملائكةُ الكرامُ.

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الحارث ﷺ قال: قال رسول الله: " أطعموا الطعام وأفشوا السلام تورثوا الجنان ". (السلسلة الصحيحة:١٤٦٦)

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ قال: قلت يَا رَسُولَ اللهِ! أَنْبِئْنِي عَنْ أَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ:" أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، ثُمَّ ادْخُلْ الْجَنَّةَ بِسَلَام ". (السلسلة الصحيحة: ٥٦٩) (صحيح الجامع: ١٠١٩-١٠٨٥)

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: " أرْبَعُونَ خَصْلَةً، أعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ، ما مِن عَامِلٍ يَعْمَلُ بخَصْلَةٍ منها رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا؛ إلَّا أدْخَلَهُ اللَّهُ بهَا الجَنَّةَ. قالَ حَسَّانُ: فَعَدَدْنَا ما دُونَ مَنِيحَةِ العَنْزِ[1]، مِن رَدِّ السَّلَامِ، وتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وإمَاطَةِ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، ونَحْوِهِ؛ فَما اسْتَطَعْنَا أنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً ".

١٣- بذل السلام سبب لسكنى الغرف في الجنة:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا، أعدَّها اللهُ لمَنْ أطعم الطَّعامَ، وأفشى السَّلامَ، وصلَّى باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ ". (حسنه الألباني في المشكاة:٤٦٤٤)

وهذه الغرف في أعالي الجنان

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة، كما تراءون الكوكب في السماء ".

- وفي رواية عند البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ".

١- مَنِيحَةُ العَنْزِ، أي: العطيَّةُ مِن لَبَنِ أُنثى الماعزِ، أو هي: الشَّاةُ ذَاتُ اللَّبَنِ تُعطَى لِيُنتَفَعَ بِلَبَنِها، ثُمَّ تُرَدُّ إلى أصحابِها.

رابعاً: فضل طلاقة الوجه عند اللقاء:

الابتسامة في الوجوه أسرع طريقًا إلى القلوب، وأقرب بابًا إلى النفوس، وهي من الخصال الحميدة المتفق على استحسانها وامتداح صاحبها، وقد فطر الله الخَلْقَ على محبة صاحب الوجه المشرق البسَّام، وكان نبينا ﷺ أكثر الناس تبسُّمًا، وبشوش الوجه لمن يلقاه، وكانت البسمة إحدى صفاته التي تحلّى بها، حتى صارت عنوانًا له وعلامةً عليه، وكان لا يُفَرِّق في حُسْن لقائه وبشاشته بين الغنيّ والفقير، والأسود والأبيض، حتى الأطفال كان يبتسم في وجوههم ويُحسِن لقاءهم، يعرف ذلك كل من صاحبه وخالطه،

- **يقول عبد الله بن الحارث** ﷺ:" **ما رأيتُ أحدًا أكثرَ تبسُّمًا من رسولِ اللَّهِ ﷺ**".

(رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي: ٣٦٤١)

- **وقال جرير بن عبد الله** ﷺ:" **ما حَجَبَنِي النبيُّ ﷺ مُنْذُ أسْلَمْتُ، ولَا رَآنِي إلَّا تَبَسَّمَ في وجْهِي....**".

(رواه البخاري)

والتبسم في وجوه الناس عمل بسيط ويسير، وغير مكلف ولا مجهد، ولكن له الأثر الكبير في نشر الألفة والمحبة بين الناس.

قال ابن عيينة-رحمه الله-: " البَشَاشَة مصيدة المودَّة، والبِرُّ شيء هيِّن، وجه طليق، وكلام ليِّن ". اهـ

وقال ابن بطَّال-رحمه الله-:" إنَّ لقاء النَّاس بالتَّبسُّم، وطلاقة الوجه، من أخلاق النُّبوة، وهو مناف للتكبُّر، وجالب للمودَّة ". اهـ

- ***وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي ذَرٍّ الغفاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " **لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ** ".

وقوله ﷺ:" **ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ** " ومعناه: سهل منبسط، وفيه الحثُّ على فضل المعروف، وما تيسَّر منه وإن قلَّ، حتى طلاقة الوجه عند اللِّقاء. **(شرح النووي على مسلم:١٦/١٧٧)**.

وقال ابنُ عَلَّانَ -رحمه الله-: وقولُه ﷺ: " **ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ**":" أي: بوَجهٍ ضاحِكٍ مُستبشِرٍ، وذلك لِما فيه مِن إيناسِ الأخِ المُؤمِنِ، ودَفعِ الإيحاشِ عنه، وجَبرِ خاطِرِه، وبذلك يحصُلُ التَّأليفُ المطلوبُ بَينَ المُؤمِنينَ ". **(دليل الفالحين:٢/٣٥٦)**

وقال أيضًا: " أي: مُتهلِّلٌ بالبِشرِ والابتِسامِ؛ لأنَّ الظَّاهِرَ عُنوانُ الباطِنِ، فلُقياه بذلك يُشعِرُ بمحبَّتِك له، وفَرحِك بلُقياه، والمطلوبُ مِن المُؤمِنينَ التَّوادُّ والتَّحابُّ ". **(المصدر السابق:٥/١٦٥)**.

- ***وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " **كلُّ معروفٍ صدقةٌ وإنَّ من المعروفِ أن تَلْقَى أخاك بوجهٍ طَلْقٍ وأن تُفْرِغَ من دَلْوِكَ في إناءِ أَخِيكَ** ".

(صحيح الترمذي: ١٩٧٠) (صحيح الجامع:٤٥٥٧)

- **قال المُبارَكفوريُّ-رحمه الله-: وقولُه ﷺ:** " **وإنَّ مِن المعروفِ**" أي: مِن جُملةِ أفرادِه،" **أن تلقى أخاك**" أي: المُسلِمَ،" **بوَجهٍ**" بالتَّنوينِ،" **طَلْقٍ**" معناه: يعني تلقاه مُنبسِطَ الوَجهِ مُتهلِّلَه ". (مرقاة المفاتيح:٦/٣٤٤).

- **وطلاقة الوجه عند اللقاء مع ما فيه من الأنس والود والمحبة، ففيه فضل كبير، وأجر عظيم.**

- ***فقد أخرج الترمذي من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " **تَبَسُّمُك في وَجْه أَخِيك لك صدقة**". (ضعفه بعض أهل العلم وحسنه الألباني في صحيح الجامع:٢٩٠٨)

قال المناوي-رحمه الله-:" تبسُّمك في وجه أخيك" أي: إظهارك له البَشَاشَة والبِشْر إذا لقيته، تؤجر عليه كما تؤجر على الصَّدقة ".

- **فالابتسامة إحدى وسائل غرس الألفة والمحبة بين الناس، وهي مفتاح للقلوب، وكنز تنفق منه مع أهلك، وإخوانك، وجيرانك، وكل من تقابله وتدعوه، وصدقة لا تكلفك دينارًا ولا درهمًا.**

وأخرج أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه واللفظ له عن أبي جُرَيٍّ جابرِ بنِ سُلَيمٍ ﷺ قال: **أتَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ إنَّا قومٌ مِن أهلِ البادِيةِ فعلِّمْنا شيئًا ينفَعُنا اللهُ به فقال: " لا تحقِرَنَّ مِن المعروفِ شيئًا ولو أنْ تُفرِغَ مِن دَلوِك في إناءِ المُستسقي ولو أنْ تُكلِّمَ أخاك ووجهُك إليه مُنبسِطٌ وإيَّاك وإسبالَ الإزارِ فإنَّه مِن المَخِيلةِ ولا يُحِبُّها اللهُ وإنِ امروٌ شتَمك بما يعلَمُ فيك فلا تشتُمْه بما تعلَمُ فيه فإنَّ أجرَه لك ووبالَه على مَن قالَه ".** (صحيح ابن حبان: ٥٢٢) (الصحيحة:١٣٥٢)

- ***وفي رواية:*** " **لا تَسبَّنَّ أحدًا، ولا تحقِرَنَّ شيئًا منَ المعروفِ، وأن تُكَلِّمَ أخاكَ وأنتَ منبسطٌ إليهِ وجهُكَ إنَّ ذلِكَ منَ المعروفِ، وارفَع إزارَكَ إلى نصفِ السَّاقِ، فإن أبيتَ فإلى الكعبينِ، وإيَّاكَ وإسبالَ الإزارِ، فإنَّها منَ المَخيلَةِ، وإنَّ اللَّهَ لا يحبُّ المَخيلَةَ، وإنِ امروٌ شتمَكَ وعيَّرَكَ بما يعلَمُ فيكَ، فلا تعيِّرهُ بما تعلَمُ فيهِ، فإنَّما وبالُ ذلِكَ علَيهِ** ". (وصَحَّحه الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود:٤٠٨٤) (السلسلة الصحيحة:١١٠٩)

فضل وفوائد البشاشة من أقوالِ السلَّفِ والعلُماءِ

١- ***قال عبدِ اللهِ بنِ المُبارَكِ-رحمه الله- في وصَف حُسنَ الخُلقِ:*** " هو بَسطُ الوَجهِ، وبَذلُ المعروفِ، وكَفُّ الأذى ". (رواه الترمذي).

٢- ***وقال ابنُ المُبارَكِ أيضًا:*** " إنَّه ليُعجِبُني مِن القُرَّاءِ كُلُّ طَلْقٍ مِضحاكٍ، فأمَّا مَن تلقاه بالبِشرِ، ويَلقاك بالعُبوسِ كأنَّه يَمُنُّ عليك بعَملِه؛ فلا أكثَر اللهُ في القُرَّاء مِثلَه ". (شعب الإيمان للبيهقي:١٠/ ٤٠٨).

٣- ***قيل للأوزاعيِّ-رحِمه اللهُ-:*** ما كرامةُ الضَّيفِ؟ قال: طَلاقةُ الوَجهِ، وطِيبُ الحديثِ ".

(إحياء علوم الدين للغزالي:١٨/٢).

٤- ***وقال أبو جَعفَرٍ المنصورُ-رحمه الله-:*** " إذا أحبَبْتَ المَحمَدةَ مِن النَّاسِ بلا مَؤونةٍ، فالْقَهم ببِشرٍ حَسنٍ". (الموشى لأبي الطيب الوشاء ص: ٢٩).

٥- ***وقال ابنُ حِبَّانَ-رحمه الله-:*** " البَشاشةُ إدامُ العُلَماءِ، وسَجيَّةُ الحُكَماءِ؛ لأنَّ البِشرَ يُطفِئُ نارَ المُعانَدةِ، ويُحرِقُ هَيَجانَ المُباغَضةِ، وفيه تَحصينٌ مِن الباغي، ومَنجاةٌ مِن السَّاعي، ومَن بَشَّ للنَّاسِ وَجهًا لم يكنْ عندَهم بدونِ الباذِلِ لهم ما يَملِكُ ". (روضة العقلاء لابن حبان ص: ٧٥).

٦- ***وقال الأحنَفُ-رحمه الله-:*** " رأسُ المُروءةِ: طَلاقةُ الوَجهِ، والتَّودُّدُ إلى النَّاسِ ".

(التذكرة الحمدونية لابن حمدون:٢٠٤/١).

٧- ***وقال ميمونِ بنِ مِهْرانَ-رحمه الله-:*** " المُروءةُ: طَلاقةُ الوَجهِ، والتَّودُّدُ إلى النَّاسِ، وقضاءُ الحوائِجِ.

(تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر:٣٦٣/٦١).

٨- **وكان يُقالُ:** " أوَّلُ المُروءةِ طَلاقةُ الوَجهِ، والثَّانيةُ: التَّودُّدُ إلى النَّاسِ، والثَّالثةُ: قضاءُ حوائِجِ النَّاسِ ".

(الموشَّى لأبي الطيب الوشاء ص: ٢٩)

٩- **وقال لُقمانُ لابنِه:** " خَصلتانِ يَزينانِك: اعلَمْ أنَّه لا يطَأُ بِساطَك إلَّا راغِبٌ فيك، أو راهِبٌ منك؛ فأمَّا الرَّاهِبُ منك فأَدْنِ مَجلِسَه، وتهلَّلْ في وَجهِه، وإيَّاك والغَمزَ مِن ورائِه، وأمَّا الرَّاغِبُ فيك فابذُلْ له البَشاشةَ، وابدَأْه بالنَّوالِ قَبلَ السُّؤالِ؛ فإنَّك متى تُلجِئْه إلى مَسألتِك تأخُذْ مِن حُرِّ وَجهِه ضِعْفَيْ ما تُعطيه".

(الجليس الصالح والأنيس الناصح للمعافى بن زكريا:٤٤٩/١).

١٠- **وقال العَتَّابيُّ-رحمه الله-:** " مَن ضَنَّ ببِشرِه كان بمعروفِه أضَنَّ ". (ربيع الأبرار للزمخشري:٤٢٩/٢).

١١- **وقال أبو الطَّيِّبِ الوَشَّاءُ-رحمه الله-:** " اعلَمْ أنَّ أحسَنَ ما تألَّف به النَّاسُ قُلوبَ أخلَّائِهم، ونفَوا به الضِّغنَ عن قُلوبِ أعدائِهم: البِشرُ بهم عندَ حُضورِهم، والتَّفقُّدُ لأمورِهم، وحُسنُ البَشاشةِ؛ فذلك يُثبِتُ المحبَّةَ والإخاءَ ". (الموشَّى ص: ٢٨).

ومن فوائدُ وفضائل البَشاشة كذلك:

١- البَشاشةُ تبعَثُ على التَّفاؤُلِ، وتُبشِّرُ بالخيرِ.

٢- محبَّةُ اللهِ عزَّ وجلَّ ورِضاه.

٣- البَشاشةُ للضَّيفِ وطَلاقةُ الوَجهِ له مِن إكرامِه، معَ طِيبِ الحديثِ عندَ الدُّخولِ والخُروجِ، وعلى المائِدةِ. **وقد قيل:**" مِن آدابِ المَضيفِ: أن يخدُمَ أضيافَه، ويُظهِرَ لهم الغِنى وبَسطَ الوَجهِ؛ فقد قيل: البَشاشةُ خَيرٌ مِن القِرى ".

٤- تكلُّفُ البِشرِ والطَّلاقةِ، وتجنُّبُ العُبوسِ والتَّقطيبِ: مِن الوسائِلِ المُعينةِ على اكتِسابِ الأخلاقِ الحميدةِ.

٥- البَشاشةُ تُثمِرُ المحبَّةَ بَينَ المُسلِمينَ، والتَّآلُفَ بَينَهم.

٦- البَشاشةُ تُذهِبُ البَغضاءَ مِن القُلوبِ.

٧- البَشاشةُ مِن عوامِلِ نجاحِ الدُّعاةِ، واستِمالتِهم لقُلوبِ النَّاسِ.

٨- امتِثالٌ لهَدي النَّبيِّ ﷺ، واقتِداءٌ به.

٩- مِن أسبابِ تأليفِ القُلوبِ، وتطييبِ النُّفوسِ وإيناسِها، ودَفعِ الوَحشةِ عنها.

١٠- مَدعاةٌ لقَبولِ النُّصحِ، والاستِماعِ إليه بصَدرٍ مُنشرِحٍ.

خامساً: فضل المصافحة:

أخرج أبو داود والترمذي من حديث البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ؛ إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا ".** (صحيح الجامع:٥٧٧٧) (الصحيحة: ٥٢٥)

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إنَّ المُؤمنَ إذا لَقِيَ المُؤمنَ فَسَلَّمَ عليه، وأخَذَ بيده فصافَحَه؛ تَناثَرَتْ خَطاياهما كَما يَتَنَاثَرُ وَرَقُ الشَّجَرِ".** (الصحيحة:٥٢٦)

وأخرج البخاري في الأدب المفرد عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ **أَنَّ أَنَسًا ﷺ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ ادَّهَنَ يَدَهُ بِدُهْنٍ طَيِّبٍ لِمُصَافَحَةِ إِخْوَانِهِ ".** (صحيح الأدب المفرد:٤١٠)

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك